عابد خزندار مختتماً مكاشفاته الصاخبة (٤-٤):

في غياب الشفافية لا بد أن تنتشر الشائعات وتهول الأمور، وأعترف أننا نعيش هامشاً من الحرية أفضل من ذي قبل.

- الدكتور محمد عبده يماني قدم لمكة الكثير وأعتبره أفضل وزير سابق.
- لم آسف لفراق أمريكا ولم أذب في ثقافة الآخر.
- في كل مكان ذهبت إليه كنت أحمل القرآن الكريم والمعلقات السبع.
- رواية تركي الحمد كتابة عادية حاول فيها استخدام الواقعية السحرية لكنه كان ضعيفاً.
- لم أقرأ للقصيبي أية رواية.
- هامش من الحرية الآن يتيح لي أن أكتب عن قناعاتي.
- القرآن والسنة هما المصدران الرئيسان للأخلاق، والشعر ليس مصدراً ثالثاً على أي حال.
- لا أعتقد أن هناك كاتباً عربياً يستطيع أن يقول كل الحق.
- رواية أولاد حارتنا ملك التاريخ لا ملك نجيب محفوظ.
- أنا لا أحب الاستفزاز لمجرد الاستفزاز ولكل وجهة هو موليها ولكل شيخ طريقة.
- أنا معجب بما كتبه سيد قطب، وتفسيره الظلال من أحسن التفاسير .

بين يدي مكاشفات

يتلقى كاتب السطور اتصالات عديدة من أعلام ودعاة وقراء ومحبين، فضلاً عن رسائل عبر البريد الإلكتروني أو الفاكس عقب كل مكاشفة. يبدي أولئكم الأحبة

نشر اللقاء في يوم الجمعة ٢٨ ذوالقعدة ١٤٢٣ هـ في صحيفة المدينة ملحق الرسالة.

obeikandl.com

آراءهم حول الموضوعات التي نوقشت في ثنايا المكاشفة موافقة أو اعتراضاً. غير أن مكاشفات الأستاذ عابد خزندار أجمع جميع من اتصلوا على تأريخيتها، وأبدوا حبورهم وحفاوتهم بها نسبة إلى كمية الصراحة الهائلة التي تحدث من خلالها، فضلاً عن تلكم الموضوعات الحساسة اجتماعياً وسياسياً التي تعرض إليها، مشيرين إلى أنها ومكاشفات الدكتور محسن العواجي كانتا درة المكاشفات جميعها. وأستأذن بعض أولئكم الأحبة اليوم كي أسوق رأيهم حيال مكاشفاتنا الحالية.

الأستاذ سهم بن ضاوي الأمين العام المساعد لمركز حمد الجاسر الثقافي بالرياض عضو التحرير في "المجلة العربية" بعث فاكساً أخوياً أبدى حبوره بالمكاشفات مشيداً بالشفافية والموضوعية التي تم بها النقاش. وأضاف من خلال مهاتفة شكرته فيها أن المكاشفات تتبادل بعد تصويرها في مدينة الرياض، وألحّ على طبعها في كتاب على غرار مكاشفات سابقة طبعت كنوع من التوثيق لكل ما طرح الخزندار.

المفكر الإسلامي الشهير د.عوض القرني من جهته أعجب جداً بمكاشفات الخزندار ودعا بالثبات والتوفيق للمحاور، وطالب بالمزيد من استضافة هذه الأسماء لمعرفة فكرهم على وجه الحقيقة بدلاً من مقالات متفرقة أو شبه ظنية، ربما لا يتاح للمرء أن يلمّ بمعرفة كاملة للشخصية عبرها، وتمنى على الخزندار لو أنه وثّق بأسماء شخوص تلك المرحلة التي يتحدث عنها لكانت سجلاً تأريخياً. الدكتور عبدالرحمن الجرعي عضو نادي أبها الأدبي والداعية الشرعي لم يكتف بالإشادة بالمكاشفات والملحق، بل بادر إلى إتحافنا بمقالة تنشر في العدد المقبل. الأستاذ عمر جستنية المحرر الاقتصادي بصحيفة (الحياة) أشار في حديث عابر إلى إعجابه بالحقائق وفضح ممارسات التزوير وطالب بالمزيد. وأختتم بالكاتب الصحافي محمد عبدالواحد الذي أشاد بجرأة الضيف في كشف (الشللية الصحفية) التي تهيمن على بعض المنابر الصحافية، للأسف والتي تمارس أيضاً نوعاً من الوصاية عبر تبنيهم

لبعض الصحافيين كيما يكونوا أبواقاً لهم يمرّرون من خلالهم ويتحكّمون بما ينشر وما لا ينشر، وإذا رفض أحد ما أن ينساق بدافع من ضميره أو ترفعاً عن ارتهان ثقافته لهم، كادوا له واعتبروه مارقاً أو خارجياً يجب إسقاطه عبر الاستعداء عليه، وثمة حوادث عديدة تؤكد ذلك للأسف.. الحقائق الأخيرة المفجعة تحدث عنها بالتفاصيل أديبنا الراحل عبدالله باهيثم يرحمه الله رحمة واسعة مع كاتب السطور إبان عمله في صحيفة البلاد الرائدة - ومدرسته الأولى التي ترعرع فيها وما زال يدين لها بالحب والفضل - إضافة للدكتور عمر الطيب الساسي الذي أشار في أحاديث عديدة مع المحاور إلى جزء من هذه المعضلة الموجودة في ساحتنا الصحافية. كان باهيثم يسمي الشخصيات بعينها التي عاصرها - عبر جلسات طويلة معه - وطرق ابتزازهم، وكيفية تواطئهم وأولئك الكتبة والصحافيين الذين لبعضهم رواتب شهرية مخصصة ومكافآت من لدن رجال أعمال. ووعدني قبل أن يتوفاه الله بخمسة أيام فقط وأنا أزوره في بيته بمكاشفة يحكي كل هذه الحقائق ولكن الأجل عاجله، وربما ما أخذته مشافهة منه يرحمه الله أسرده كحكايات يوماً ما..

وإذا سألني القارئ لم سقت كل ما سبق، سأعتذر منه عن ذلك. ووالله لأمر غير مهني وثمة سخف أن يسرد المرء ثناء يرضي به بعض نرجسيته. بيد أن الموضوع أيها الأحبة كان رداً لازماً وواجباً استدعاه المقام حيال أحد الكتّاب الذي رأى أن مكاشفات الخزندار أضرّت وما نفعت. وتلك وجهة نظر نحترمها، بل أعرف أن هناك كثيرين غيره من الأحبة والقراء يرون ذلك، ونتقبل من جهتنا كحق لهم وبكل الأريحية ما يرونه ونحترمه ونجلهم لذواتهم وفضلهم. أما الذي لا نحترمه في هذا الشأن ونرفضه إلى أبعد حدّ فهو فرض الرأي الواحد والطلب منا أن ننساق إليه مرغمين أو باختيارنا. هذه الوصاية نمقتها ونرفضها وقد ولّى زمانها يا أحبة، فمتى تفيقون؟؟

خاتمة

إلى كاتبنا الكريم:

لن أسرد على مسمعك الرهيف ما قاله شاعرنا الأول:

جـــاء شـــقـــيق عـــارضـــاً رمـــحـــه

إنّ بـنـي عـــمـك فـيـــــهم رمـــاح

بل أحفظ لك يدك، وأحمل لك حباً أبوياً خاصاً، وقد نقشت من الآن وإلى أبد الأيام في صدري لك قول كثيرعزة :

هنـيـئـاً مـريـئـاً غـيـر داء مـخـامـر

لعـــزة من أعـــراضنا مـــا اســـتـــحلّت

عبدالعزيز قاسم

obeikandl.com

لنفتتح هذه الحلقة الأخيرة من مكاشفاتك أستاذنا الكريم بالاستفسار إن كان ثمة تعليق منك على ما تفضل به الأستاذ محمد سعيد طيب بروحه الأخوية الحادبة وكلماته الشفيفة في الحلقة الماضية بشأن شهادته التي أكرمنا بها في"الرسالة" .

- كنت أتمنى من الأخ محمد سعيد طيب أن يوثق كلامه بالنسبة لتدخل زكي يماني بإطلاق سراح الدكتور صالح أمبا بعد ثلاث سنين من سجنه، خاصة وأن هذا موضوع يتعلق بفترة من تاريخ حياتنا، وعلى أية حال يبقى السؤال المهم هو إن صحّ أنّ اليماني تدخل فلماذا كتم شهادته ثلاث سنوات، ألا يعتبر هذا في حدّ ذاته أثماً عظيماً ..

❀ **وطالما أعيد فتح الموضوع مرة أخرى أستاذ عابد. بودي - بعيداً عن وزيرنا العملاق أحمد زكي يماني - سؤالك حيال ما طرحه محاورك من أنه أتى إليك وقد استقصى عنك ما يقارب الشهرين من فئات عديدة. وكانت المعلومات المغلوطة من أنكم كنتم - أنت والجهيمان تحديداً - طليعة لخلية شيوعية أو ما شابه. فضلاً عن تعرضكما لتعذيب (لا أدري هل هي ترسبات ثلاثية تركي الحمد في اللاوعي لدي). إلى أي الأسباب ترجع أنت عابد خزندار فشوّ ذلك. أم الأمر ولع مجتمعي بـ"أسطرة" المسكوت عنه؟**

- في غياب الشفافية لا بد أن تنتشر الشائعات وتهول الأمور وقد قيل: وما آفة الأخبار إلا رواتها؛ ولهذا حمدت للمسؤولين إذاعة كل التفاصيل عن مداهمة إحدى الشقق المفروشة قبل أيام والتي قتل فيها مواطن كويتي، وأتصور أن الدولة لو لم تذع هذه الحقائق لكان هناك مجال كبير لانتشار الشائعات وتهويل الأمور، وأتمنى في المستقبل السماح لأي معتقل بالاستعانة بمحامٍ، وأن يصدر بيان اتهام محدد ضده، وألا يترك أي مجال للشائعات.

❁ **ولطالما الأمر كما ذكرت، يشجعني ذلك في المضي قدما في حقل الألغام هذا الذي نسلكه، وعزائي بتفهم المجتمع لما نودّ إيضاحه من ناحية، فضلاً على أنّ كثيرين ممن عاشوا الحدث قد كتبوا أو أنهم في طور الكتابة لتلك الأحداث، ذكر أبوالشيماء تأريخين، بداية الستينيات ونهايتها، فيما نسبك للأولى، وذكر أنه عاش أحداث الثانية. هل أطمع بتوضيح ببعض التفصيل عن هاتين الفترتين؟**

- أعود إلى ما سبق أن ذكرته، وهو أنه عندما تمت هذه الاعتقالات لم تصدر الدولة بياناً بأسماء المعتقلين والتهم الموجهة إليهم، أنا لا أستطيع أن أذكر أسماءهم؛ لأنهم قد يجدون حرجاً في ذلك.. ثم إنني لا أعرف أسماء كل الذين اعتقلوا في تلك الفترة ولا أعرف التهم الموجهة إليهم، وأترك لكل واحد منهم أن يتحدث عن نفسه.

❁ **هل تكرمنا ببعض الأسماء، نسمع عن عبدالرحمن الجعيد مثلا، ويوسف الطويل. وبعض الأسماء. أرجو منك إكرامنا بها ؟**

- لا أستطيع كما قلت أن أذكر لك أي اسم.

❁ **على الأقل أستاذ عابد الذين انتقلوا من دنيانا إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، ولو ببعض الاختصار. ورأيك الشخصي في ذلك؟**

- هؤلاء قد يجد أبناؤهم حرجاً في ذكر أسمائهم .

❁ **ألست معي أستاذ عابد أنّ من حق الرسمي هنا، بل من أوجب واجباته،الحفاظ على أمن المجتمع. وأنّ الفترة التي نتحدث عنها هي فترة كانت تكويناتها وظروفها السياسية والاجتماعية تستدعي مثل تلك الإجراءات. أنا أضرب لك مثلا في مسألة التوقيف عاصرناه كجيل،عندما أوقف بعض الدعاة كسلمان العودة وسفرالحوالي ومحسن العواجي. كانت الفترة التي قضوها منعطفا**

مهما في مسيرتهم، وخرجوا برؤى إيجابية انعكست على فقههم وفكرهم ومن ثمّ على المجتمع وكمية التسامح مع الآخر المحلي والخارجي. أريد أن أصل أستاذ عابد، وأنت في السبعين من عمرك عركتك الحياة وخبِرتها، ألا ترى معي وأنت تطل إلى تلك الأحداث أن هذا التوقيف الذي مورس أدى إلى نتائج إيجابية في مستوى التفكير الفردي، وشيء من العقلانية وتخفيف غلواء الشعارات والعاطفة الجارفة التي صاحبتكم إذ ذاك؟

- أنا لا أستطيع أن أتكلم إلا عن نفسي، وبالنسبة لي كما قلت لك لم توجه إليَّ أية تهمة اللهم إلا تهمة الميول (التي وصفت بأنها معينة ولم توصف بأنها شيوعية أو ناصرية أو قومية أو بعثية).. والميول كما قلت لك لا تعتبر جرما. والإنسان لا يحاسب إلا على فعله.. وهذا لا يعني أنه لم تكن لدي قناعات معينة بوجوب إصلاح الأوضاع، وبعض هذه القناعات ما زال قائماً، وهناك الآن هامش من الحرية يتيح لي أن أكتب عن قناعاتي وهو ما أفعله في صحيفة عكاظ، كما أنه لا ينفي أنه كانت لدي أفكار لم يكن يتقبلها المجتمع في تلك الأيام ولكنه أصبح يتقبلها الآن. وأستطيع أن أضرب لك الكثير من الأمثلة على ذلك وخاصة ما يتعلق منها بالمرأة، إذ ما كتبته عن المرأة في هذه المكاشفات كان من المستحيل أن أكتبه قبل ثلاثين عاماً.

الكتابة الاستعراضية

❀ **لا شك أن الثورة المعلوماتية من فضائيات وإنترنت كانت لها يد طولى في زيادة مساحة الحرية. وأستأذنك أستاذ عابد لأنتقل معك مباشرة إلى اتهام خاص بك من بعض المتابعين لكتاباتك يحكي بأن كتاباتك النقدية الأخيرة تقوم على الاستعراض. هل تقرّ بداية بذلك؟**

- القارئ هو الفيصل في ذلك.

❀ **لعلك لا تشعر بذلك؟ وربما أذهب بالاتهام إلى أنك واقع في استسهال الكتابة؟**

- أبداً.. وعلى أي حال إذا كان الناقد مثقفاً ومطلعاً فإن ذلك لابد ويظهر في كلامه.

❀ **سأجادلك بأمثلة، هل كتابات عابد خزندار في الرياض مثل كتاباته في عكاظ مثلاً؟**

- لا سبيل للمقارنة، فمقالاتي في الرياض كانت أدبية بينما مقالاتي في عكاظ اجتماعية.

❀ **سأبدد عليك حجتك هنا أستاذ عابد، بأن لديك مقالة أدبية نقدية في عكاظ يوم الأربعاء..**

- في هذه المقالة الأسبوعية أكتب بطريقة مختلفة نوّهت عنها في كتابي" قراءة في كتاب الحب " وهي تعتمد على الاستطراد، فأنا أتكلم عن النقد الثقافي في وعن ارتباط الأخلاق بالجمال.. وأقارن بين النصوص الغربية والعربية في نوع من الاستطراد. وقلت: إن الرواية الكلاسيكية هي مصدر من مصادر الأخلاق. وكذلك الرواية الرومانتيكية، أمّا الرواية الواقعية فلم تعد لها علاقة بالأخلاق. وتحدثت عن الشعر الجاهلي الذي أسس مبادئ أخلاقية فروسية لكن بعد ظهور القرآن صار القرآن هو المصدر الوحيد للأخلاق. وبدأ الشعر يتجه إلى اتجاهات أخرى، جانب منه اتجه إلى المدح، وآخر إلى الغزل كشعر الحجاز مثلاً. وجانب ثالث اتجه إلى الشعر السياسي كما عند الشيعيين بالذات. فما هو وجه الاستعراض في هذا؟

❀ **وإذ رددت على اتهامنا الآنف، دعني أسوق لك اتهاماً يقول بالمراوغة حيال التصنيف وذلك عبر هروبك - إذا جاز التعبير - عن الكتابة عن الشأن الثقافي**

obeikandl.com

المحلي وانهماكك في الكتابة عن القراءات الغربية الأجنبية .. كيف ترد على ذلك؟

- لا، أبداً. لقد كتبت، ولكن بشكل قليل، عن رجاء عالم وعن محمد الثبيتي .

❀ **تعترف في كتابك (رواية ما بعد الحداثة) بأنك تلقيت رسائل عديدة، فضلاً عن المكالمات الهاتفية، تنتقدك لأنك تكتب عن كتابات أدبية بعيدة عن الواقع والهم العربيين.. احتجاجك لم يقنعنا حقيقة في دعوات تقول إننا نعيش في قرية كونية صغيرة وتريد كبحه وزيف حضارة الآخر .. أنت احتججت بهذا؟**

- العالم قرية صغيرة، حقاً. لكن توجد في داخل ذلك الخصوصية التي يحاول الناس المحافظة عليها في مجتمعاتهم. طبعاً وخاصة من الناحية الثقافية، فالحملة الناشطة الآن ضد الكوكا كولا والمنتجات الأمريكية تعتبر من هذا القبيل.

❀ **والله يا أستاذ عابد، سأقف معك في هذه النقطة قسرا كي تزيل ما يبدو لنا غريباً ومحيراً في كونك ضد الثقافة والقيم الغربية بدل أن تكون مبشراً بها - ككثيرين غيرك ممن عاش ودرس عند القوم هناك - على اعتبارك أنك قضيت زمناً طويلاً في تلك البيئة سواء في أمريكا أو فرنسا. سؤالي مباشرة أستاذنا: لماذا أنت ضد الأمركة؟**

- لأن أمريكا تناصبنا العداء الآن، وتريد أن تقضي على ثقافتنا، وبكلمات أخرى تريد أن تفرض عولمة ثقافية طابعها أمريكي على العالم، ولهذا يجب أن ندافع عن ثقافتنا.. وأنا عشت في فرنسا وأمريكا، لكنني لم أذب في ثقافة الآخر. إلى الآن أجد أن طبق الفول والمبشور أفضل من الهامبرجرز والأكلات الأوروبية..

❁ **لكن ألا تتفق معي أن كثيرين ممن عاشوا وتعلموا مثلك في الغرب، لا يزالون على دهشتهم الأولى وانبهارهم بالحضارة الغربية من خلال تبشيرهم في مجتمعاتنا هنا بتلك القيم. أذهب إلى أبعد من هذا بأن البعض للأسف يتمنى أن تفرض علينا ما بشرتنا بها كوندليزا رايس وكولن باول من الأمركة القسرية لعالمنا العربي. فلماذا أنت بالذات خرجت عن ذلك؟ هل ربما لأن الأيديولوجيا القديمة ما تزال مسكونة بها نفسك؟**

- لا تنس أنني نشأت وعشت في مكة ثماني عشرة سنة، وتأثرت بقيمها التي رسخت في نفسي، ثم إنني في كل مكان ذهبت إليه كنت أحمل القرآن الكريم والمعلقات السبع، وأنا أعتبر الشعر الجاهلي أعظم شعر على الإطلاق مع أنني قرأت الأشعار الإنجليزية والفرنسية والألمانية بلغاتها الأصلية، وطبعاً أنا معجب بها ولكنه إعجاب لا يصل إلى إعجابي بالشعر الجاهلي .

❁ **عفواً أستاذنا. كثيرون نشؤوا مثل هذه النشأة التي حكيت وربما أكثر ولكنهم لم يرفضوا نقل النموذج الحضاري الغربي إلى المجتمع كما تفعل أنت، بل صدعوا رؤوسنا بتبشيرهم عبر منابرهم الإعلامية ليل نهار، يرموننا بالتخلف والرجعية ويريدون الانعتاق من ثقافتهم وتراثهم، ويجأرون بالدعوة إلى استلهام حضارة القوم بكاملها دون تمحيصها أو فرزها. كيف تعلق ؟**

- عندما عدت من أمريكا لم آسف لفراقي لها، وعشت فترة في الصحراء في وادي السرحان، في خيمة كانت هي مكتبي وغرفة نومي، وكانت من أجمل فترات حياتي، كما أنني تجولت في كل مدن المملكة وقراها. إذ كنت في فترة من الفترات مشرفاً على شؤون البادية في وزارة الزراعة، ووصلت إلى حدود الربع الخالي، والواقع أن صحارينا يمكن أن تشكل مورداً سياحياً ضخماً لنا، ولو أننا جنينا عليها بالرعي الجائر وتقطيع الأشجار؛ ولهذا يجب أن نضع خطة

للحفاظ على المراعي أو على الأصح ما تبقى منها، بعمل دورة للرعي بحيث نمنع الرعي في بعض المناطق لمدة سنة أو سنتين ونسمح بالرعي في مناطق أخرى، وبعد مدة نمنع الرعي في هذه المناطق وهكذا دواليك بشكل دوري .

روايات القصيبي وتركي الحمد

❁ **نعرف أنك لا تحبذ التعليق على أعمال الأدباء المحليين - وربما عدّ ذلك كنوع من الهرب - ولكن دعني هنا أسألك عن أعمال روائيين محليين هما الدكتور غازي القصيبي والدكتور تركي الحمد، أثارا ومازالا كثيراً من القراءات المتباينة بل الحدّية بين شرائح المثقفين بكل أطيافهم. ولنبدأ بالحمد كونه الأكثر مشاغبة ومشاكسة : هل قرأت رواياته؟**

- قرأت روايته (شرق الوادي) وهي ليست رواية عظيمة، إنها كتابة عادية، حاول الحمد أن يستخدم الواقعية السحرية لكن ذلك كان ضعيفاً.

❁ **سأسوق لك مقولة للدكتور سعيد السريحي عندما عبّر عن رأيه بأن روايات الرجل لا ترقى حتى إلى مستوى رواية، وأن سبب شهرتها وذيوعها تعود إلى أن الحمد قال فيها ما لم يُقل. أي أنه تناول موضوعات اجتماعية لم يجرؤ أحد على تناولها. كيف تنظر أنت إلى ذلك؟**

- نعم، هذا صحيح.. الحمد قام بتوظيف البيئة بشكل لم ينظر إليه الكتّاب السعوديون من قبل بهذه الطريقة.

❁ **وهذا في عرفكم أنتم كنقاد، أيجيّر لصالح الروائي أم لا ؟**

- الفيصل في الحكم على أي رواية هو تطبيق معايير النقد عليها وليس انتماءها إلى الوطن أو التزامها بإيدلوجيا معينة. خذ مثلاً أراجون لقد سقط روائياً؛ لأن رواياته كانت مؤدلجة، ونجح كشاعر عظيم؛ لأن شعره خال من الإيديولوجيا.

❁ **لنترك الحمد ونتجه إلى القصيبي كيف تراه؟ هل كان حظه هو الآخر كتلميذه الحمد. أم أن " دبلوماسينا " الأنيق ذا المواهب المتعددة جاء حظه - كعادته في كل مراحل حياته - مواتياً وربما نال صفة الروائي لديكم نقادنا الكرام ؟**

- لم أقرأ للقصيبي أي رواية.

❁ **يا ساتر. كيف يكون هذا؟ أنت ناقد أدبي على مستوى الوطن، وأتصور أن متابعتك لأعمال الأدباء هي جزء مهم من اهتماماتك، فضلاً عن أنّ الذي نتحدث عنه علامة فارقة في تأريخنا الأدبي والسياسي، اتفقنا أم اختلفنا معه، وللرجل عدة روايات دهم بها مكتبتنا المحلية والعربية على مدى سنوات. هل توافقني أنّ عدم قراءتك لروايات القصيبي يعتبر قصوراً يرتكبه ناقد أدبي كبير بحجمك؟**

- قراءة الإنسان تعتمد على اهتماماته الراهنة، فأنا الآن أقرأ كل ما يتعلق بالنقد الثقافي ولا أكاد أجد وقتاً لقراءة أي شيء آخر، ثم إني في الوقت نفسه أترجم كتاباً عن معجم السميوطيقا وأقرأ كل ما يتعلق بها. وفي الحقيقة لم أقرأ شيئاً للقصيبي وبذلك يصعب عليَّ تصنيفه.

❁ **أنتقل هنا للدكتور حسن الهويمل. إلى ماذا انتهت المعركة بينك وبينه ؟ وهل لنا قبلها أن نعرف أسبابها؟**

- كان الهويمل يتخذ سعيد يقطين مرجعية في السرد. وعلم السرد يعتمد في جزء منه على البنيوية. وجزؤه الآخر يعتمد على الواقعية، سعيد يقطين كتب عن النقد الشكلي في السرد وخاصة عند جريماس و.... الهويمل أعتقد أن يقطين يكتب عن البنيوية فصححت له اعتقاده الخاطئ، وقلت: إنه إنما يتحدث عن السرد..

❁ **لكن ردودك عليه كانت قاسية - كعادة ردودك حفظك الله - كما لو أنها ضرب تحت الحزام إذا جاز التعبير، وهي طريقة لا تليق بمثقف في مكانتك؟**

- هذا الأمر لم أتعمده.

❁ **إذن تعترف بأن ردودك كانت قاسية؟**

- ما الذي قلته أنا وكان قاسياً؟

❁ **مثلاً التعريض به بأن أحداً ما يكتب له..**

- أنا لم أقل ذلك.

❁ **لكن في لقائك مع الزميلة "الوطن" ومحررها الزميل علي مكي الذي ذكر ذلك وواجهك به..**

- لا. لم يحدث.. أنا لم أقل ذلك على الإطلاق.. على العكس أنا أحترم رأيه.

الأدب الإسلامي: مع أم ضد؟

❁ **طالما طرح اسم الدكتور حسن الهويمل، لنفتح من وحيه معك موضوع الأدب الإسلامي : بداية هل أنت ضد هذا المصطلح ؟**

- الأدب يجب أن يكون أدباً أولاً، وبعد ذلك لك أن تطلق عليه أي وصف تريده. على أنه منذ نزول القرآن تحول كتاب الله إلى المصدر الوحيد للأخلاق، ولم يعد الشعر ينهض بتلك المهمة كما كان في السابق. الآن عندما أتحدث معك أقول: قال الشاعر أم أقول قال الله تعالى؟.. المؤكد أنني أقول قال تعالى. ما دام الأمر محسوماً في القرآن فلماذا ألجأ إلى السند الشعري؟ القرآن والسنة هما المصدران الرئيسيان للأخلاق، الشعر ليس مصدراً ثالثاً على أي حال.

❁ **عفواً أستاذ عابد. ليس الأمر بهذه الصورة، وإن كنا نقرّ لك بمصدرية القرآن للأخلاق، إلا أن ثمة شعراً لا يزال يمتح من تلك الأخلاقيات ويبثها في الناس فيؤثر فيهم، وأنت تعرف أنّ العرب أمة ذوّاقة، ترتاح إلى الشعر وموسيقاه ..**

- القرآن حسم الأمر ولم يفرط في شيء، والشعر يعجز عن أن يأتي بنصوص أخلاقية تناهز أو حتى تتساوى مع القرآن، ومن وجد البحر استقل السواقيا.

❁ **والله أضعتني أستاذ عابد : سألتك، هل أنت مع مصطلح الأدب الإسلامي. فأجبتني بنعم. وها أنت تقول الآن بأن القرآن سلب من الشعر مسائل الأخلاق. جميل ذلك ولكنّ ذلك المصطلح الذي نتحدث عنه مكرّس جلّه لمسائل الأخلاق وبثّ القيم الإسلامية وغيرها من الأمور. هلاّ أجليت لنا رأيك بصراحتك التي أغرقتنا في هذه المكاشفات ؟**

- أنا لم أقل إنني أؤيد المصطلح ارجع إلى كلامي ... أنا قلت: إن الأدب يجب أن يكون أدباً أولاً، وبعد ذلك لك أن تصفه بأي وصف تريده، خذ مثلا الشعر الصوفي أنا أعجب به كشعر أولاً وقد لا تعجبني بعض الأفكار الصوفية، وإذا كان ما يسمى بالشعر الإسلامى ليس شعراً في الأساس، أي ليس شعراً جيداً فلن يشفع له أنه ينتصر للإسلام، وإذا رجعنا إلى تاريخنا الأدبي فهل تستطيع أن تسمي لي شاعراً إسلامياً واحداً ينطبق عليه مصطلح الشعر الإسلامى؟ قد يأتي من يقول إن شوقي شاعر إسلامي، فقد نظم عدة قصائد إسلامية كنهج البردة ولكن شوقي نظم أيضاً العديد من القصائد في الخمريات.

❁ **هل لك إذن أن تكرمنا برؤيتك إلى وظيفة الشعر الآن؟**

- وظيفة الشعر كباعث للأخلاق انتهت، وأصبحت وظيفته وظيفة جمالية بحتة.

❁ **دعني ألتف على الموضوع من زاوية أخرى. هل تؤيد الشعر المتدثر بالإيديولوجيا. أضرب مثالاً على كلامي بعيداً عن مصطلح الأدب الإسلامي؛ ثمة أدب ماركسي في أيام الرفاق البائدين. الشيوعيون الحمر أدلجوا الأدب الروسي الساحر، ماذا كانت النتيجة؟**

- أنا ضد أدلجة الأدب، وقد سبق أن تكلمت عن أراجون، والشيء نفسه ينطبق على بابلو نيرودا ولوركا اللذين هما شاعران مثلما هما شيوعيان، ولكنك لن تجد كلمة الشيوعية في شعرهما البتة، ولن تجد فيه أية أدلجة. إنه شعر محض، ولهذا كان شعراً عظيماً.

❁ **أشعر ثمة مغالطة تأريخية أستاذ عابد. وأتمنى منك أن تبحث بذاكرتك معي. السلطة السياسية الحمراء امتطت الأدب الروسي لترويج مبادئها وسياساتها، ليس على نطاق المحلي لديهم، بل على مستوى العالم، بل تعدى الأمر إلى إنشاء "كانتونات "أو ميليشيا ثقافية، وصلت في الستينيات إلى بلادنا العربية. هل أستطيع تذكيرك بكتّاب اتحاد آسيا وإفريقيا. كيف تعلّق أستاذنا ؟**

- أكرر أن الأدب إذا لم يكن أدباً أولاً فإنه سينتهي ويموت، وقد ماتت كل الأشعار المؤدلجة.

❁ **لأخرج من هذا المحور وأنتهي بأن عابد خزندار ضد أدلجة الأدب؟**

- نعم..

نجيب محفوظ والثلاثية

❁ **كتبت عن نجيب محفوظ ووصفت روايته حديث الصباح والمساء بأنها الثلاثية الثانية. كيف تقيم مجمل عمل محفوظ الروائي؟**

- نجيب محفوظ يعتبر أعظم روائي عربي في وقتنا الحاضر، ولا يقترب منه إلا عبد الرحمن منيف شفاه الله، فقد سمعت أن عنده فشلاً كلوياً.

❁ **يقودني ما طرحت في سؤالي السابق إلى استشراف رأيك عما نشر مؤخراً في الصحف حول تبرئه من روايته الإشكالية (أولاد حارتنا) وتوبته على يد الشيخ الغزالي، ونعرف أن تلك الرواية كانت أهم مقومات فوزه بنوبل الآداب.**

- عندما يخرج المؤلف كتاباً فإنه يصبح ملكاً للتاريخ وليس لمن ألفه. وهذا الأخير لا يحقّ له أن ينكر تأليفه له بهذه البساطة. عبدالله القصيمي فعل ذلك أيضاً عندما أعلن أنه يتبرأ من كتبه.. هذه لم تعد كتبه إنها الآن ملك التاريخ.. كذلك الحال مع رواية أولاد حارتنا التي هي أيضاً ملك التاريخ لا ملك نجيب محفوظ.

❁ **لكنك تعلم أن الرواية أحدثت ضجة كبيرة تدخل فيها الأزهر الذي وصفها بأنها مليئة بالمخالفات، ثم تباكى تلامذة محفوظ وأصحاب مدرسة الفن للفن حتى في مشهدنا المحلي الثقافي على حرية الإبداع والمبدع، وأمطرونا بمواعظهم وصنفونا بالظلاميين. والآن يأتي صاحب الرواية في هذه السنّ ويعلن التوبة ويتبرأ أمام الكل من روايته الإشكالية كصفعة مستحقة لكل أولئك المزايدين عليه. السؤال المنتصب بعلامة استفهام كبرى: ألا يدل ذلك على اعتراف ضمني منه بأن في روايته شيئاً مخلاً دعاه إلى التبرؤ منها؟**

- بطبيعة الحال الرجل تغير.. فنجيب محفوظ اليوم هو غيره قبل عشرين سنة على الأقل. تماماً كما تغير القصيمي.. في بعض الأحيان يبدأ الإنسان حياته ملحداً وينهيها مسلماً أو العكس.

❁ **هل لعامل السن ودنو الأجل علاقة بمثل هذه الانزياحات التي يقترفها هؤلاء على ما كتبوه ذات يوم ودافعوا عنه؟**

- طبعاً للسن علاقة بذلك.

❁ **وكيف نتعامل مع تراثهم الإبداعي الذي تقول إنه صار ملكاً للتاريخ ولا يحق لهم التبرؤ منه؟**

- كما نتعامل مع أي نص أصبح ملكاً للتاريخ .

❁ **والله مشكلة. كيف يفعل إذن المؤلف إذا أراد التبرؤ من بعض أفكاره.. هل يكفي أن يكتب كتاباً آخر مغايراً عن كتابه المشكلة فيدخل بذلك في دائرة التناقض؟**

أم ماذا يفعل.. مع أن المسألة تبدو لي ممكنة في المجالات العلمية الصارمة وصعبة التحقيق على مستوى العمل الإبداعي..

- أعتقد أنه يمكن أن يقول إن هذا العمل أو ذاك يمثل جانباً من فترة حياتي، وأنا الآن في فترة أخرى وينتهي الأمر.

الإبداع وحدوده

❁ **يجرنا الحديث إلى الموضوع الشائك منذ أمد. كيف تنظر أنت إلى حرية الإبداع؟ هل ثمة من ضوابط لها أم للمبدع الحق في الكتابة بلا تقييد من أي نوع؟**

- الإنسان إذا قدر له أن يتحرر من ضوابط فإنه يقع في ضوابط أخرى لا محالة.

❁ **كيف ذلك؟**

- خذ مثلاً الشعر المتحرر من التفعيلة خرج من ضوابط التفعيلة ليدخل في نسق ضوابط أخرى.. يحكمها ما اصطلح عليه بقصيدة النثر.

❁ **هذا مفهوم ولكن أكثر تحديداً: كيف تنظر إلى توظيف الجنس وبعض ألفاظ الكفر والمجون في العمل الإبداعي مثلما هو الحال في رواية مثل: وليمة لأعشاب البحر لحيدر حيدر. ولا يخفى عليك أستاذنا مدى الغيرة الإسلامية والحساسية الشعبية وتلك المظاهرات التي قامت ضد هذه الأعمال؟**

- هناك قصة لطيفة عن بيكاسو تقول إنه عندما رسم لوحته (غرنيكا) التي رسم فيها غارة الألمان على قرية غرنيكا فهرب الناس إلى الكنيسة التي لم تسلم من الهجوم الألماني وقتلوا كثيراً من البشر المحتمين بها. وعندما احتل الألمان فرنسا أحضروا اللوحة وبيكاسو أيضاً وسألوه: أنت الذي صنع هذا؟ قال لهم: لا، أنتم الذين صنعتموها. هذا المثال يصلح للتطبيق على حال الكاتب الواقعي الذي ينقل تفاصيل الحياة كما هي، بكل ما فيها من نساء ومجون. أليس هذا موجوداً

في الحياة.. (وليمة) حيدر حيدر لم تفعل غير ذلك، نقلت جزءاً كبيراً من التفاصيل الموجودة في الحياة اليومية وهي تفاصيل لم يخترعها المؤلف بل موجودة في الواقع. لكن هناك بعض الكتاب يقومون بأسوأ التوظيفات للجنس في كتاباتهم لإثارة الشباب، وهذا لا يصح؛ فالجنس إذا كان لابد من توظيفه في العمل فليكن باعتباره عنصراً من عناصر الحياة وليس شيئاً آخر.

❁ **ولكأنك تمسك العصا من المنتصف توافق ولكن بحدود. هل يليق بالإبداع أن يكون مسفّا ؟ واعذرني في قولي بأن هذا الإسفاف موجود في رواية حيدر حيدر، ويمكن أن نلاحظه كذلك في رواية المغربي محمد شكري (الخبز الحافي) التي فيها شتم صريح لله عز وجل، عياذاً به. هل الواقع هكذا؟ هل يليق ذلك؟**

- مثل هذا لا يليق، بطبيعة الحال، ولكنك قد تجد ذلك في الواقع أيضاً. أعني أنك تجد لحظات يكفر فيها الإنسان ثم يعود ليستغفر.. يقال مثلاً (الجوع كافر) أحياناً يتلفظ الإنسان بكلمات كافرة.. ثم يندم عليها فيما بعد .

❁ **عفواً أستاذ عابد. هل ترى أن ذلك يجب أن ينقل في حال كتابة رواية تتداولها العامة والأجيال الشابة. ويمكن أن تعممّ وتتداول بشكل أوسع مما يعني ترسيخها وتعميمها في الثقافة المجتمعية السائدة؟**

- في تقديري الشخصي أن الكاتب عليه الابتعاد عن أي شيء يثير الناس أو يستفزهم في مشاعرهم الدينية والأخلاقية.

❁ **لا أدري حديثك الأخير هذا، يمثل نوعاً من الموعظة فقط للروائيين .أم انه اقتناع تام منك تتناوله عند تحليلك النقدي ؟**

- الكاتب العظيم يمكن أن يصف الواقع بكل ما فيه من قبح دون أن يستفز القارئ، وهذا هو الفرق بين كاتب كجويس وكاتب مثل: سلمان رشدي؛ ففي عمل

جويس تعريض بالمسيح ولكنه كتب بطريقة فنية ورمزية لا تستفز القارئ بعكس سلمان رشدي الذي كتب عن عائشة بطريقة تصدم القارئ المسلم وتستفزه .

❁ **لن نتشعب أكثر طالما أتينا على سيئ الذكر رشدي، وأجادلك من خلال ما سطرته أنت عابد خزندار. قلت مرة على لسان جان بول سارتر عندما تساءل:" هل بمقدور الإنسان أن يكون ملتزماً وحراً؟ أجاب رائد الوجودية الأول بأن الوجود لا يتحقق إلا بالحريات، ثم استدرك وأضاف: لابد أن يكون ملتزماً ". تبدو المسألة معادلة رياضية معقدة أو أنها نوع من الأحجية . أنت أستاذنا هلا أجليت لنا الأمر؟**

- سارتر نفسه لم يستطع أن يكون كما أشار. المعادلة صعبة أن تكون حراً وملتزماً في الوقت نفسه.

❁ **لأهتبل الفرصة وأسأل أيضا عندما كتبت مرة في أحد نثارك عن أدونيس وقلت إنه والمثقفين التقليديين يشتركون في صفات كثيرة كأنهم منافقون ويريدون إخفاء معالم الحقيقة. فسّر لنا ذلك، خاصة وأنك جمعت نقيضين في هذا المثال هما: أدونيس والمثقفون التقليديون بتعبيرك في سلة واحدة؟**

- لا أذكر ذلك الآن، ولا أعتقد أن هناك كاتباً عربياً يستطيع أن يقول كل الحق.

استسهال كتابي

❁ **أستدني إلى ذاكرتك مقالة كتبها السريحي منذ أكثر من خمسة عشر عاماً وقال: إن عابد خزندار يكتب المقالة الصحفية من منظور حداثي من حيث التكنيك والتداعي وكسر حواجز الذات والآخر والزمان.. وكرّر ذلك إن لم تخني الذاكرة في إثنينية الخوجة. هل أنا واهم في زعمي بأنك لم تعد تكتب مثل تلك الكتابة التي امتدحها السريحي، كما لو أن ذلك انتهى في (الرياض) مثلاً. هل هذا صحيح؟**

- نعم هذا صحيح.

❀ **جميل هذا الاعتراف وأنا كنت أتوقع أن ترد التهمة، وسؤالي : لماذا ؟**

- طبيعة الدراسة التي أكتبها الآن تملي عليَّ ذلك. ولكن هنالك شيء مهم فهي ليست دراسة أكاديمية منهجية، ثم إن تلك الكتابة كانت تمثل مرحلة في مسيرتي الأدبية والكاتب لا بد أن يجدد نفسه وإلا فإنه سينتهي، والكاتب الذي لا يجدد نفسه كما حدث لغادة السمان يموت وينساه الناس، ولو استمر في الكتابة فلن يقرأه أحد.

❀ **هذا يأخذنا إلى التهمة الأولى المتعلقة بالاستسهال الكتابي. أعني أن أجواء الكتابة في (الرياض) كانت صارمة، وهي غير كذلك مع (عكاظ)، فهل ظني هنا صحيح ؟**

- المسألة كما قلت تتعلق بمرحلة في مسيرتي الأدبية، ثم إنني بعد أن تركت تلك الكتابة الاستطرادية ابتدعت كتابة أخرى تنهض على تداخل النصوص وتجدها في كتابي : (حديث المجنون).

❀ **طالما جرنا الحديث للكتابة، بودي سؤالك عن تلك الطقوس التي تحوم وتهوّم عليك وتلتزمها في كتابتك اليومية .أتذكر أن تركي الحمد قال مرة: إنه يدخن بشراهة شديدة ويصبح كالمحرقة كجزء من طقوسه الكتابية. أنت أستاذ عابد كيف هي طقوسك؟**

- الكمبيوتر ألغى كل الطقوس الممكنة. في السابق عندما كنت أكتب بالقلم كنت أعتني بشرب الشاي أثناء الكتابة. لكن هذا انتهى الآن، صرت أكتب على الكمبيوتر مقالاتي العربية والإنجليزية، والكتابة على الكمبيوتر تفرض على الكاتب أسلوباً معيناً هو أسلوب الكتابة الذي أريد أن أسميه بالأسلوب التلغرافي، بعكس الكتابة بالقلم التي تسمح للكاتب بالاسترخاء والاستطراد .

❁ **وهل هناك وقت محدد تفضل الكتابة خلاله؟**

- أكتب منذ بعد الظهر، أما في الصباح فأذهب إلى العمل، وهو عمل تجاري .

❁ **كيف يأتيك مفتتح المقالة؟**

- الكتابة الاجتماعية تأتي مع قراءة الصحف وما يرسله لي القراء من شكاوى، علماً بأنني لا أهتم بالشكاوى الشخصية، وقد وصلتني الآن وأنا أكتب عن هذه السطور على الكمبيوتر رسالة من قارئ يسألني فيها أن أبحث عن عروس، وكأنني خاطبة، ولكن أكتب بالطبع عن الشكاوى إذا كانت تتناول مشكلة تمس قطاعاً عريضاً من المجتمع مثل البند (١٠٥) الذي ألغي الآن، وكان لي ولزملائي الصحفيين الذين كتبوا عنه الفضل في إلغائه .

❁ **ومتى بدأت الاتجاه إلى الكتابة الاجتماعية؟**

- بدأت في جريدة الندوة. وكتبتها كإسهام مني في صحيفة (الندوة)؛ لأنها تصدر من البلد الذي ولدت فيه ولم أكن أتقاضى أي مكافأة على ما أكتبه. ثم كانت فترة (عكاظ).

❁ **هنا يطرح السؤال نفسه عن اتجاه بعض المفكرين والمنظرين الحداثيين واليساريين السابقين للكتابات الاجتماعية. الراصد لهم ولمسيرة كثير منهم أنهم انقلبوا فجأة إلى كتّاب خدمات شعبية. هل حقاً أن هذه النوعية من الكتابة الأخيرة تشبه ما يعيشه بقايا الليبراليين واليساريين والحداثيين العرب، عندما اكتشفوا أنهم كانوا يخاطبون أنفسهم في فترة ما، فعادوا إلى دور البطل في مناوشة المسؤولين الحكوميين وصاروا يكتبون عن الكهرباء والمياه. بماذا تفسر ذلك؟**

- عن نفسي وعندما بدأت الكتابة الاجتماعية وجدت أنني أحلّ بعض المشكلات. ووجد كثير من القراء متنفساً في كتاباتي. ولكن حاولت ألا يطغى هذا الجزء

على كتاباتي الأدبية، واستطعت ترجمة كتاب (المصطلح السردي) وهو كتاب ترجمته صعبة جداً، وسيصدر عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر. كتب مقدمته الدكتور جابر عصفور أمين عام المركز، والآن أعكف على ترجمة كتاب معجم المصطلحات السيموطيقية، وهو أصعب من الأول؛ لأنني لا أترجم بقدر ما أنني أنحت مصطلحاً جديداً.. وكل أسبوع أقوم بترجمة قصيدة من قصائد الشعراء الأوروبيين والغربيين، وكنت أنشرها في (عكاظ)، ولكني سأنشرها في (أربعاء المدينة)؛ لأنني وجدت أن المشرف على الصفحة الثقافية في العدد الأسبوعي في (عكاظ) لا يهتم بهذا النوع من الأدب .

* **لم أظفر بإجابة، وربما لو استشهدت بأسماء لقربت إليك السؤال. لو تمعنّا في أسماء ابتداء من عبدالمعطي حجازي، فؤاد زكريا، يوسف إدريس، أحمد الربعي ومجموعة الطليعة اليسارية في الكويت، وقائمة عريضة من ذلكم التيار على امتداد رقع الجغرافيا العربية، لنجدهم قد اتجهوا إلى الكتابة الاجتماعية وتحدثوا عن الطبقات الفقيرة ومشاكلها. والسؤال هنا هل ينبع ذلك من تحريض لأيديولوجيا قديمة اعتنقوها أم ماذا؟**

- أنا قصدت أن أتحدث عن نفسي فقط في الإجابة السابقة. لا أدري ما الذي يحركهم في اتجاههم للكتابة الاجتماعية. قلت لك لماذا أكتب عن القضايا الاجتماعية. ثم كيف إنني تضايقت عندما توقفت عن الكتابة؛ لأنني حرمت من الوصول إلى الجمهور، وأتمنى أن تتوقف بعض الأساليب الرقابية على الكتابة في بلادنا؛ فالكلمة لا يرد عليها إلا بالكلمة، خاصة وأن الكاتب يستطيع أن يصل في عصرنا الحاضر إلى القارئ بوسائل أخرى غير الصحيفة عبر الإنترنت مثلاً، وفي خلال عام أو عامين سيتعذر إيجاد حاجز أو ما يسمى بالـ Firewall أمام أي صفحة في الإنترنت، وإذن فلا سبيل إلى الرد على الكلمة إلا بالكلمة،

والقرآن الكريم أورد جميع ما قاله المشركون وأهل الكتاب عن الله سبحانه وتعالى، وكان بوسع الله أن يقطع ألسنتهم، ولكنه وجد أن أمضى سلاح للرد عليهم هو الكلمة نفسها، فليكن لنا في القرآن أسوة حسنة. ثم إننا الآن نعيش في عصر النص الإلكتروني الذي جعل الثقافة جماهيرية وفى متناول فهم كل إنسان، ولا يستطيع أحد أن يحول بينها وبين الوصول إليهم.

❁ **هل هذا تطبيق عكسي لسؤال قديم ثار في صحافتنا: لم تكتبون ما لا يفهم؟ ويجيب شعراؤنا الحداثيون وكتّابنا النخبويون للمجتمع: لِمَ لا تفهمون ما نكتب؟**

- بلى، خذ رواية لنجيب محفوظ مثلاً: كم من القراء يفهمها؟ مع الأسف، عندما تمّ تحويل عدد كبير من أعماله الروائية إلى أعمال سينمائية وتلفزيونية صارت مفهومه وقريبة من الناس، وما عادت تخص النخبة وحدها. النص الإلكتروني يقصر المسافات، فعندما تتحدث الرواية مثلاً عن شارع تجد هذا الشارع بكافة مواصفاته وتفاصيله في النص الإلكتروني.

❁ **إذن، عصر النخبوية إلى زوال. وها إن النخبويين ينزلون من أبراجهم العاجية إلى المجتمع بعدما عجز المجتمع عن الارتقاء إليهم؟**

- المجتمع لم يرتق؛ لأنه لم تكن لديه وسائل للارتقاء، كما أن الكاتب وخاصة وهو يكتب باللغة الفصحى لم يستطع أن يكتب لجمهور عريض. وأنا هنا لا أدعو إلى العامية بل أدعو إلى تقريب الأعمال الخالدة للجمهور، خاصة وأن ذلك قد أصبح متاحاً للجمهور .

الكتابات في مسائل الدين

❁ **أنت لا تتطرق إلى الموضوعات الدينية على عكس زملائك أبي السمح والخياط، هل هناك سبب ما؟**

- إنها تأتي عرضاً أحياناً في كتاباتي، وأنا لست متبحراً في علوم الدين، وهنا في مجتمعنا من يستطيع أن يكتب في هذه المواضيع بشكل أفضل مني....

❁ **وماذا عن صديقيك السديري وأبي السمح اللذين يمارسان قدراً من الاستفزاز للشريحة المحافظة؟**

- أنا لا أحب الاستفزاز لمجرد الاستفزاز. ولكل وجهة هو موليها ولكل شيخ طريقة.

❁ **في كثير من مقالاتك تستشهد بمقولات لسيد قطب ما السبب؟**

- لأن كتابه " في ظلال القرآن " من أحسن التفاسير.

❁ **مع أنه المتهم الأول لدى الـ سي آي ايه التي قالت إن أفكار الرجل هي التي أنتجت جماعات التكفير وابن لادن..**

- أنا معجب بما كتبه وليس بما فعله، وأنا ضد الإرهاب بكل أشكاله، ولكنني لا أعتبر المقاومة الفلسطينية إرهاباً. فهؤلاء ظلموا وأخرجوا من ديارهم ويتعرضون للإبادة، وما يفعلونه هو الدفاع عن أنفسهم وهذا عمل مشروع، وقد جاء في سورة الحج : ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ...**﴾ الآية " وإذا كان هناك ضحايا من الأطفال والنساء اليهود فاليهود هم البادئون والمعتدون. ومذابح دير ياسين وصبرا وشاتيلا خير شاهد على ذلك، ثم يجب ألا ننسى آلاف الأسرى المصريين الذين قتلهم اليهود بعد حرب ٦٧، وهو ما يتنافى مع معاهدة جنيف الخاصة بمعاملة الأسرى وما يتنافى مع كل الأعراف الإنسانية.

❀ **ما زلت متسائلاً عن سبب كثرة استشهادك بتفسيره الذائع الصيت في ظلال القرآن. هل أنت معجب بذلك التفسير ؟**

- أنا معجب أيضاً بكتابه " التصوير الفني في القرآن " وكتابه " مشاهد القيامة في القرآن " كما إنني معجب بتفسير الزمخشرى.

❀ **على الرغم من أن الزمخشري أحد أشهر المعتزلة؟**

- لأنه يهتم بالناحية البلاغية والجمالية في القرآن.

❀ **قلت في يوم تكريمك في إثنينية الخوجة بأن مكتبتك تضم ما يناهز الـ٤٠٠ ألف كتاب قرأتها كلها وأعدت قراءة بعضها عدة مرات، أنا الآن إزاء رجل يتحدث ثلاث لغات بطلاقة وهذه قراءاته.. ولكن عندما أقارن هذا الرصيد المعرفي الضخم مع ما أنتجت لا أجد تكافؤاً. هلا تفسر لنا ذلك؟**

- أنا لم أقل ذلك فهذا مستحيل، ولا يتسع له عمر أي إنسان ولكني قلت أعرف الكثير من موضوعاتها، أما الكتابة فأنا لم أمارسها إلا بعد أن تجاوزت الأربعين.

❀ **وما السبب. لقد كنت ولا تزال قارئاً نهماً لكنك مقل جداً في الكتابة؟**

- لأنني ببساطة ما كنت أحب أن أكتب.

❀ **تقصد أن عائقاً نفسياً هو ما حال بينك وبين الكتابة؟**

- لا، بل لأنه لم يخطر على بالي أن أكتب. كما قلت لا أحب الكتابة .

دور الرقيب الكتابي

❀ **ذكرت بأنك كتبت في (الندوة ثم الرياض وعكاظ)، ثم أغراك أو ورطك - لا فرق - قينان الغامدي الذي نقلك إلى (الوطن). السؤال الذي يطرح في هذا المقام : هل حقاً أن قينان ورطك، كما يتداول، عبر ضعف رقابته لمقالاتك؟**

obeikandl.com

- أنا أكتب في (عكاظ) الآن لأن الدكتور هاشم هو الذي سعى في عودتي للكتابة، وسأظل أكتب في (عكاظ) طالما ظل الدكتور هاشم رئيساً لتحريرها، وبعد ذلك عندي عرض مفتوح للكتابة في صحيفة أخرى، أي أنني سأترك (عكاظ) يوم يتركها الدكتور هاشم .

❁ **ولماذا تركته في الأول.. هل بسبب ضجرك من الأسلوب الرقابي الذي كانت عليه (عكاظ) في زمن ما؟**

- كان هناك خلاف بيني وبينه حول المقالات التي كتبتها عن مستشفى الملك فهد في جدة ..

❁ **أعود لسؤالي الأول، من وحي تجربة الوطن. هل وصلت إلى حالة من الاقتناع حيال دور الرقيب الداخلي في الصحيفة ؟**

- لمرات عديدة قلت للزملاء في (عكاظ) إنه كمبدأ لا أستطيع أن أكون رقيباً على نفسي، أنا أكتب كما أريد، وأنتم لكم الحرية في حذف أو إثبات ما تريدون بشرط ألا يخلّ بالمعنى، وهذه سياستي معهم، ووجدت بالخبرة أنه من الخير للكاتب أن يمرر نصف ما يريد بدلاً من ألا يمرر أي شيء، وكثيراً ما يحدث أن يقول لي الرقيب: إن هذا المقال لا يستحسن نشره في هذه الظروف، فأقول له احذف ما تراه وإذا تعذر ذلك فأنا أوافق على عدم نشره.

❁ **ومتى برأيك نصل إلى مستوى أن نحذف الرقيب الداخلي هذا في كتاباتنا وحواراتنا؟**

- أرجو أن نصل إليها قريباً، وأنا سأكون صريحاً معك بأن المشكلة ليست في المسؤولين بقدر ما هي في التيار الآخر، وأقصد به التيار المتعصب الذي يمارس الوصاية على الآخرين .

obeikandl.com

❀ **عفواً. لنمتط الموضوعية، هؤلاء لا يمارسون الوصاية التي تقول ولا تحتج إلا عندما تستفزونهم بكتاباتكم التي تنال من مسلمات دينية أو اجتماعية، والدفاع عنها هي من صميم اعتقادهم..**

- أنا معك بأن لهم الحق في الإنكار على من استفزهم. ولكن ما قد يعتبره البعض مسلمات قد لا أعتبره أنا كذلك، فالقضية قضية رأي واجتهاد.

❀ **على ذكر (عكاظ) بعثت لهاشم عبده هاشم رسالة، ونشرتها في موقعك على الإنترنت وقلت بالصوت العالي إن (عكاظ) بلا ثقافة بالرغم من كتيبة المثقفين التي بها..**

- لم أقل ذلك في الإنترنت فقط بل بحثت الأمر شخصياً معه، و(عكاظ) لديها مجموعة كبيرة من المثقفين مثل: السريحي والجحدلي وأحمد عائل فقيهى وعبد المحسن يوسف وعبده خال ومصطفى إدريس، ولا يفهم كيف تعجز الصحيفة عن إصدار ملحق يضاهي صحيفة (النهار)، وعلى أية حال لا يوجد الآن في جميع صحفنا ملحق ثقافي جيد، كان هناك ملحق ثقافة (الرياض) ولكن معظم كتابه أجانب، وصحيفة (البلاد) كان لديها ملحق ثقافي جيد في فترة قينان الغامدي وكنت أسهم فيه مجاناً، ولكنه تدهور.

❀ **ألا ترى معي أنه ربما أحد الأسباب انحيازها لفكر معين، وتيار معلوم وقد مارسته في الثمانينيات واعترف به صراحة سعيد السريحي، ففقدت مصداقيتها؟**

- الانحياز لفكر معين لا يعني فقدان المصداقية.

❀ **ولماذا وصمت صحيفتك بأنها صحيفة "مقاهٍ"؟**

- (ضاحكاً) أنا قلت إنها تقرأ في المقاهي وعند محلات الحلاقة، وقصدت طبعاً الملحق الثقافي.

مكة وأبناؤها

❁ **في مقال أخير لك عن مكة، أثنيت ثناء عاطراً على الدكتور الوالد محمد عبده يماني وقلت فيه "على الأقل لم يترك مكة كما تركها غيره" واضح جدا أنك تعرّض بغيره. بيد أنني سأواجهك هنا، أنت عابد خزندار ألم تفعل ذلك؟ بل أنت تركت السعودية برمتها وذهبت إلى باريس، فكيف تسوغ لنفسك رمي الآخرين في ما أنت واقع في ما ترمي به وأكثر؟**

- في كل مكان ذهبت إليه في العالم حملت معي مكة، وأنا أسرق هذا التعبير من نزار قباني الذي كانت ترافقه دمشق.. هذا عدا أنني ذهبت إلى باريس للدراسة وقد أمضيت ثلاث سنوات في الجامعة الأمريكية في باريس، كما حضرت محاضرات في الكوليج دي فرانس لامبرتو ايكو وايف بونفوا وانريه ميكيل وهذا الأخير كان يلقي علينا محاضرات باللغة الفرنسية عن كتاب الحيوان للجاحظ ...

❁ **عفواً للمقاطعة أستاذ عابد، إذ لا شأن لنا بهذه المحاضرات في سجالنا هنا، وسأعترض عليك مجدداً بأن هذا التبرير الذي سقت ربما يحتج به غيرك من أبناء مكة ومن رميت !!**

- لا، انتظر. الدكتور محمد عبده يماني قدم لمكة الكثير، ولو استعرضنا سوياً رئاسته وعضويته في المؤسسات والجمعيات الخيرية التي بمكة، فضلاً عن نادي الوحدة، وكلها بلا مقابل، لأدهشنا كثيراً. أعرف أنه يذهب لمكة بشكل شبه يومي وأحياناً لمرتين .أعتبره شخصياً أفضل وزير سابق. إنه رجل متعدد الأدوار ومدهش في حيويته ونشاطه، بل إنه رجل " صاحب واجب اجتماعي" من الطراز الأول. بينما غيره من أهل مكة لم يفعل ما فعله الدكتور محمد، وأنا أردد بيتاً للأعشى أقوله دائماً لمن لم يخدم مكة وهو من أهلها:

فلا أنت من أهل الحجون ولا الصفا ولا لك حق الشرب من ماء زمزم

❁ **أسأل الله ألا يحرم مسلماً من شرب ماء زمزم. ودعني أتوقف هنا، وأنهي هذه المكاشفة معك. وأود أن أبوح لك في الختام باقتناعي التام بقضية السرد خاصتك، إذ كانت هي من قدّمت لقارئي مكاشفة متميزة وصريحة امتطيت فيها أستاذ عابد الفروسية والجرأة بحق. واعتبرها كثير من متابعي (الرسالة) درة المكاشفات على الإطلاق. فشكراً لك أستاذنا وأنتهي معك بطلب كلمة خاتمة تقدمها إلى قرائي الكرام. وإلى الأخوة الذين سيتداخلون معك من كافة الأطياف الفكرية الموجودة في مشهدنا الثقافي، وظني أنك استفززت الكل بآرائك الصريحة التي ذكرت..**

- أنا لم أتعمد الاستفزاز، وهناك فرق بين الصراحة والاستفزاز، وإذا ورد فيما قلته شيء من التجريح فأنا أعتذر عنه، ولو أن البادئ أظلم. وأخيراً أشكر صحيفة (المدينة) التي أتاحت لي أن أبوح بهذه المكاشفات.

obeikandl.com

سهيلة زين العابدين تعقب على مكاشفات خزندار..(١-٣)

هذا هو فكر سلامة موسى العلماني وموقفه من الإسلام

❁ السؤال الذي يجب أن يطرح: لماذا وجه سلامة موسى الأستاذ عابد خزندار إلى ابن رشد؟

بقلم: سهيلة زين العابدين حمّاد*

لقد تتبعتُ باهتمام بالغ مكاشفات الأستاذ عابد خزندار، وفي البداية أود أن أحييه على وضوحه وصراحته وجرأته في التصريح بآرائه على الرغم من أنه يدرك أنَّ يتحدث إلى صحيفة إسلامية، كتّابها ومعظم قرائها إسلاميون، وآراؤهم يختلف في معظمها معهم، في حين نجد الكثير ممن يحمل آراءً مناهضة للفكر الإسلامي ومنهجه يصرحون للمصادر الإسلامية خلاف ما يصرِّحون به لمصادر حداثية وعلمانية، فأولئك منافقون يظهرون خلاف ما يبطنون، ولكن الأستاذ عابد خزندار لم يكن منافقاً في هذه المكاشفات، ولم يظهر خلاف ما يبطن، فأنا أحييه على هذا الموقف، وكان لا بد من هذه الوقفة عند هذه الصفة، التي يتجرَّد منها من يسير على نهجه.

هذا وإن كنتُ أختلف مع الأستاذ عابد خزندار في الفكر والمنهج، وأخالفه الرأي في عدة قضايا ذكرها في مكاشفاته، والتي سوف أتوقف عندها:

١- ما ذكره عن سلامة موسى، وابن رشد، ورجاء عالم.

٢- إطلاقه على باريس عاصمة النور، والعاصمة الثقافية الأولى في العالم.

٣- ما ذكره عن أدونيس أنَّه من أعظم شعراء العرب، وأنَّه قمة.

* نشرت المداخلة بتأريخ ١٨ محرم ١٤٢٤هـ في صحيفة المدينة ملحق الرسالة.

٤- موقفه من سلبيات الحداثة.

٥- ما ذكره عن الواقعية السحرية، وألف ليلة وليلة.

ولكن أتفق معه في قوله: "لا يوجد رجل دين في الإسلام بالمعنى الديني الكهنوتي." وفي قوله:

- إن "هناك فرقاً بين الجدة والحداثة، الجدة وجدت وستوجد دائماً، أما الحداثة فكانت موضة وانتهت. ودعني أتساءل هنا لماذا نحن نستشرف الحداثة؟ إنَّ الظروف التي نشأت فيها الحداثة في أوروبا كانت نتيجة لسيطرة دولة المؤسسات بحيث أصبحت دولة المؤسسات هي قوة خانقة للحريات تحول معها الفرد إلى مجرد رقم.. لقد سلبته من فرادته، ومن هنا جاءت الحداثة ثورة ضد المؤسسات، وهذا لم يكن عندنا نحن على الإطلاق".

كما اتفق معه في قوله: "الحداثة هي مصطلح غربي ولا يبدو منطقياً ربطها بجذور في تراثنا العربي والإسلامي"، فالقول: إنَّ أبي تمام من الحداثيين قول مرفوض؛ لأنَّ أبا تمام - كمال قال الأستاذ خزندار - كان مجدداً، ولم يكن حداثياً، فالحداثة قادمة من أوروبا فكيف نصف أبا تمام بأنَّه كان حداثياً.

كما أحييه وأوافقه على ما قاله في مقدمة الجزء الثالث من مكاشفاته عن المواطنة، وتنديده بالحملة الصحفية التي تشنها جريدة البلاد في هذه الأيام، بالخلط بين الإقليمية الضيقة والوطنية التي تؤدي كما قال إلى" تفرقة لأبناء الوطن وخاصة في هذا الوقت الذي ترتفع فيه أصوات اللوبي اليهودي وبعض الكونجرس بالمطالبة بتقسيم المملكة. فأنا أتفق تماماً مع الأستاذ عابد في هذه القضية، وهي قضية جد هامة وخطيرة، فنحن أبناء وطن واحد، وأبناء أمة واحدة، وأساس التفاضل بين الناس في الإسلام ليس الانتماءات القبلية، وإنَّما التقوى، يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا أبيض ولا أحمر إلا بالتقوى**» وعندما قدم إلى المدينة، أول أساس وضعه للدولة الإسلامية أنَّه قضى على النعرة القبلية بمؤاخاته بين الأوس والخزرج، وأطلق عليهم الأنصار ليقضي على أية نزعة قبلية، فلم ينسبهم إلى قبائلهم، وإنَّما نسبهم إلى مؤازرتهم له ومناصرته للإسلام، أي جعل انتسابهم إلى موقفهم الذي ينم عن تقواهم، وليس إلى قبائلهم، ولكن للأسف الشديد يوجد بين أبناء البلد الواحد من تتملكه هذه النعرة القبلية الجاهلية، والمؤلم أنَّه ينظر إلى الحجازيين نظرة دونية، وأنَّه أجنبي، رغم أنَّ هذا الحجازي قرشي أو أنصاري، وقد آلمني كثيراً عندما قالت إحدى الأخوات المحاضرات في المؤتمر التاسع لندوة الشباب العالمي، وهي تحمل شهادة دكتوراة من إحدى الجامعات الأمريكية: علينا أن نفتح الحوار مع الآخر، فلا مانع من أن نحاور الحجازيين... إلخ " أنا عندما سمعتُ هذه الكلمات صُعقت، فنحن الحجازيين بات شأننا شأن الغرب حتى يُقال عنا في بلدنا بـ"الآخر"؟ وقد طلبتُ المداخلة، ولكن للأسف الشديد مديرة الجلسة تعمَّدت عدم إعطائي فرصة المداخلة؛ وذلك لأنِّي عندما عاتبتها على عدم إعطائي فرصة المداخلة مع أنَّي قدَّمتُ لها الطلب بنفسي في وقت مبكر من المحاضرة، كانت حجتها أنِّي أطيل في مداخلاتي؛ فالمحاضِرة إنسانة مثقفة، وذات توجه إسلامي، وأُجلها واحترمها كثيراً، ولكن للأسف لم تستطع التخلص من هذه النعرة القبلية الجاهلية المتسلطة عليها.

وهذه النعرة القبلية الجاهلية متحكمة في البعض ممن يزعمون أنَّهم ذوو التوجه الإسلامي، فعندما كتبتُ عن الحقوق السياسية للمرأة في الإسلام طبقاً لنصوص قرآنية قطعية الدلالة تلقيتُ رسالة في بريدي الإلكتروني كتب صاحبها عنواناً غريباً

لم أسمع به من ذي قبل، هو "طروش البحر"، وعندما فتحتُ الرسالة وجدت فيها هذه العبارات "يا طروش البحر... يا بقايا حجاج.. معترضاً على قولي إنّ للمرأة حقوقاً سياسية في الإسلام؟

فسألت ما معنى طروش البحر؟

ثُمَّ أدركتُ معناها، ولم أرد عليه بالرغم من أن الكثير نصحني بالرد عليه، فأنا من هذه البقعة الطاهرة وجدي أبو بكر الصديق رضي الله عنه، ولكن لم أفعل، إذ وجدتُ شخصاً بهذه العقلية لا يستحق الرد عليه، فهو يزعم أنَّه غيور على دينه، وهو يناقض تعاليم هذا الدين الذي حرَّم التنابز بالألقاب والتفاخر بالأنساب، وقضى على النعرة القبلية الجاهلية، فهذا رجل فيه جاهلية.

فالذي أريد أن أؤكد عليه أنَّ جميعنا أبناء أمة واحدة، وقد قالها جل شأنه (إنَّما المؤمنون إخوة) وينبغي ألاَّ يفوت على الجميع أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم، والتابعين إبَّان الفتوح الإسلامية استقر بعضهم في البلاد المفتوحة، وتمَّت المصاهرة بينهم وبين أبناء تلك البلاد، فيوجد من إخواننا الأفارقة والآسيويين من العرب وغير العرب من تعود أنسابهم إلى الجزيرة العربية وإلى النبي صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين.

وكلمة أخيرة أود قولها بهذا الصدد إنَّ الوحدة الوطنية واجب ديني ووطني، وعلينا جميعاً التخلص من هذه النعرة القبلية، ويا حبذا لو قامت وزارة الداخلية بإلغاء الانتسابات القبلية في البطاقات الشخصية وحفائظ النفوس!

إنَّ أعداءنا متربصون بنا، ويريدون تمزيق أسرنا وتشتيت شملنا وتقسيم دولتنا إلى ثلاث دويلات، والنعرة القبلية الجاهلية الموجودة لدى البعض منا سوف يستغلها أعداؤنا في تنفيذ هذا المخطط فلنكن حذرين ويقظين.

وبعد ذكر النقاط التي أتفق فيها مع الأستاذ خزندار، فليأذن لي أن أناقشه في النقاط التي اختلف معه فيها، ولنبدأ بسلامة موسى، ودفاعه عنه، ونفيه عنه أنَّه من المناهضين للإسلام، وسوف أعطي هنا لمحة سريعة عن فكر سلامة موسى العلماني، وموقفه من الإسلام.

أولاً: سلامة موسى:

من المعروف أنَّ سلامة موسى (١٨٨٨-١٩٥٨م) كان من أبرز أعلام فريق مدرسة "المقطم" القائمة على تبني العلمانية ورفض الإسلام كحضارة ونظام حكم، وهي أعلنت العداء لصبغ الدولة والمجتمع بحضارة الإسلام، وأخذت تعمل على سيادة نهج الحضارة الغربية وقيمها مع علومها وتطبيقات هذه العلوم، أي تغريب الدولة والمجتمع تحاشياً لأسلمتهما، فأصحاب هذه المدرسة الذين من أبرز أعلامها سلامة موسى، ويمثل فكره ودعوته كتابه (اليوم والغد)، والدكتور طه حسين، ويمثل دعوته كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) وقد جمعتهم رابطة الولاء للغرب الولاء بالمعنى السياسي عند الذين اتخذوا من الاستعمار الغربي إنجليزياً كان أو فرنسياً موقف الولاء والتبعية، بل والعمالة في بعض الحالات أو الولاء بالمعنى الفكري والحضاري، عند الذين أصبحت رسالتهم الدعوة إلى تبني فكرية الغرب وأيولوجية حضارته سعياً لحلولها محل حضارة الإسلام، وبعدما ثبت لبعض أصحاب هذه المدرسة فشل مشروع الحضارة الغربية للنهوض بمجتمعاتهم تراجعوا عن دعوة التغريب، إلاَّ أنَّ سلامة موسى ظل ثابتاً على موقفه، وقال في كتابه "اليوم والغد" وهو يحتوي على مقالات نُشرت في خلال سنتي ١٩٢٥، ١٩٢٦م، ثمَّ أضيف إليها مقالان عند نشر الكتاب سنة ١٩٢٧م -: (إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة... لأنَّها تقوم على أصل كاذب، فإنَّ الرابطة الدينية وقاحة، فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا،، ونحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان...

وحكومة ديمقراطية برلمانية، كما هي في أوروبا، وأن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة هارون الرشيد أو المأمون، أوتوقراطية دينية، وكلما ازدادت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضي... يجب علينا أن نخرج من آسيا، وأن نلتحق بأوروبا، فإني كلما ازدادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعلقي بها، وزاد شعوري بأنَّها مني وأنا منها، وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طوال حياتي سراً وجهراً، فأنا كافر بالشرق، مؤمن بالغرب.)

موقف سلامة موسى من الدين:

لقد هاجم الدين في مقدمة كتابه، وفي أكثر من موضع من الكتاب حتى ليخيل إليك - كما يقول الدكتور محمد محمد حسين - أنَّه لا يبغض في هذه الشرقية التي يهاجمها إلاَّ الدين، فهو في كل مثل من الأمثال التي يضربها يهدم ركناً من أركان الأديان عامة والإسلام خاصة، فهو (يريد من التعليم أن يكون التعليم تعليماً أوروبياً لا سلطان للدين عليه، ولا دخل له فيه)، وهو (يريد من الحكومة أن تكون ديمقراطية برلمانية كما هي في أوروبا، وأن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة "هارون الرشيد" أو "المأمون"، أوتوقراطية دينية)، وهو يريد أن يبطل شريعة الإسلام في تعدد الزوجات والطلاق (بحيث يعاقب بالسجن كل من يتزوج أكثر من امرأة، ويمنع الطلاق إلاَّ بحكم محكمة)، وهو يريد أن يقتلع من أدبنا كل طابع شرقي مما يسميه (آثار العبودية والذل والتوكل على الآلهة) وهو يريد أن يهدم الإسلام والتدين جملة بقوله: (ونحن في حاجة إلى ثقافة أبعد ما تكون عن الأديان، ولا بأس من أن نعتمد على الترجمة إلى حد بعيد حتى يتمصر العلم، وتتمصر ألفاظه، وعندئذ نسير فيه بالتأليف).

فهو يريد نبذ مناهج التعليم القائمة على الدين، وتغييرها بمناهج غربية مترجمة ريثما يتم تمصير التعليم، أي يريد سلخ مصر من دينها وعروبتها، وكان أكثر سخطاً وعداءً للجامعة الإسلامية ورجالها، وفي مقدمتهم الزعيم "مصطفى كامل" ساخراً من مصطفى كامل لحديثه مع المصريين عن الإسلام في الصين.

لماذا وجَّه سلامة موسى الأستاذ عابد خزندار إلى ابن رشد؟

هذا السؤال كان ينبغي أن يوجهه إلى نفسه الأستاذ عابد خزندار خاصة بعدما قرأ فكر وفلسفة ابن رشد.

مما لا يختلف عليه اثنان أن ابن رشد عالم ومفكر وفيلسوف كبير، ولكن تأثره إلى حد كبير بالفلسفة اليونانية - ولا سيما فلسفة أرسطو - وأخذه بها أوقعه في محاذير عقدية، وقد فنَّد الإمام ابن تيمية تلك النظريات وأوضح تعارضها مع الدين، من ذلك:

- نظرية الطبقات عند ابن رشد وتأثره بأرسطو في تقسيم الناس إلى عامة، وإلى خاصة، وغلوه في تمجيد فلسفة أرسطو، ومنطق اليونان حتى يبين ابن رشد من ذلك تمجيده للفلاسفة الذين يتلقون عن الله، كما يزعم، أمَّا العامة من الناس فهم يتلقون عن الأنبياء، وقد بيَّن ابن تيمية الخطأ في هذه النظرية، فمن خطورتها رفع شأن الفلاسفة إلى مقام النبوة، كما يدعي بعضهم، ويكفي سلامة موسى لو آمن الأستاذ عابد خزندار بهذه النظرية التي ستجعله يكفر بالأنبياء، ويدعي النبوة إذا ما كان فيلسوفاً مفكراً.
- البعث عند ابن رشد، فهو ينكر بعث الأجساد بعينها، فهذا اجتهاد خاطئ يتنافى مع النصوص القرآنية، فابن رشد هنا تأثر بالفلاسفة الذين قبله مثل: الفارابي وابن سينا على أنَّ هذا تمثيل وتخييل للجمهور للزجر والتخويف،، وفي هذا

يقول ابن رشد: (وبهذا النحو من التصور أمكن الجمهور أن يفهموا المعاني الموجودة في المعاد). وقد بيَّن ابن تيمية خطأ هذا القول أو الاجتهاد، فقال: (وإعادة البدن نفسه يعيده الله بعد أن يبلى كله إلاَّ عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: «**كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، ومنه يركب**».

- ويخبرنا الله سبحانه وتعالى عن المعاد وعن المبدأ كقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾.
- ويخبرنا أنَّ الثاني مثل الأول، كقوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ**﴾.
- وقوله تعالى: ﴿**عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ**﴾، والمراد بقدرته سبحانه وتعالى على خلق مثلهم هو قدرته على إعادتهم كما أخبر بذلك في قوله: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ**﴾.
- فإنكار بعث الأجساد بعينها يسقط الحساب والجزاء، وهو يقول بتناسخ الأرواح، وهي عقيدة بوذية مجوسية تقول بها بعض الفرق الباطنية كالنصيرية، ولعل تأثر الأستاذ عابد خزندار بفلسفة ابن رشد جعلته لا يستنكر على رجاء عالِم عالَمها القصصي القائم على تناسخ الأرواح مثل: قصة " الأصلة "، بل يعتبر رجاء نموذجاً أدبياً يفضل على غيره من الأدبيات.

ثانياً: وصفه باريس بأنَّها مدينة النور والعاصمة الثقافية الأولى في العالم:

هذا ما سأبحثه، وباقي النقاط في الحلقة المقبلة إن شاء الله.

سهيلة زين العابدين تعقب على مكاشفات خزندار.. (٢-٣)

المدرسة الاستشراقية الفرنسية أكثر المدارس الاستشراقية هجوماً على الإسلام وعلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

❖ كيف يعد الخزندار أدونيس قمة وأنه أعظم شعراء العرب وقد نال من الذات الإلهية.

أواصل الحديث عن مكاشفات الأستاذ عابد خزندار، وكنتُ في الحلقة الماضية قد ذكرتُ النقاط التي أتفق فيها مع الأستاذ خزندار، والنقاط التي أخالفه فيها، وتوقفتُ عند وصفه باريس بأنَّها مدينة النور والعاصمة الثقافية الأولى في العالم

ثانياً: وصفه باريس بأنَّها مدينة النور والعاصمة الثقافية الأولى في العالم:

وهنا أخالف الأستاذ عابد فيما ذكره عن باريس، وأتفق مع الأستاذ عبد العزيز قاسم فيما ذكره عنها، وأضيف إلى ما ذكره أنَّ المدرسة الاستشراقية الفرنسية أكثر المدارس الاستشراقية هجوماً على الإسلام وعلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي الآن أكثر الدول الأوروبية هجوماً على الحجاب، والقانون الفرنسي الذي يطبق في كثير من البلاد العربية هو الذي وضع قانون بيت الطاعة، ونسب إلى الإسلام، وقد سلب المرأة الزوجة انتسابها إلى أسرتها، كما نظر إليها كأنها قاصر، إذ لم يعطها حق التصرف في مالها إلاّ بإذن الزوج، وقائد الثورة الفرنسية نابليون الذي غزا مصر أعلن في أول اجتماع للبرلمان "أنَّ النساء خلقن عبيداً للرجال "، فكيف نقول بعد هذا على باريس عاصمة النور والعاصمة الثقافية الأولى في العالم؟

❖ نشرت المداخلة بتأريخ ٢٥ محرم ١٤٢٤هـ في صحيفة المدينة ملحق الرسالة.

إنَّ عاصمة النور، والعاصمة العلمية والثقافية الأولى في العالم بحق هي المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى التي انطلقت منها أنوار العلم والمعرفة التي جاء بها الإسلام مبددة ظلمات الجهل التي كانت تعيشها البشرية، مقدمة حضارة هي أرقى الحضارات الإنسانية، مخلصة البشرية من عبودية واستبداد الخلق. وكما يبدو أنّ الأستاذ خزندار متأثر بمن سموا أنفسهم برواد النهضة والتنوير أمثال الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهما.

ثالثاً: موقف الأستاذ خزندار من أدونيس وحداثته:

يقول الأستاذ خزندار عن أدونيس: " أعتقد بأنَّ الحداثة الثقافية العربية تأثرت كثيراً بأدونيس، هو رائدها الحقيقي، وأدونيس يعتبر قمة، ولكن الذين قلَّدوه هم من أساء للحداثة، يمكنني أن أقول بأنَّ أدونيس نفسه أساء للشعر بإلغائه للتفعيلة ممَّا جعل شعره أقرب إلى النثر، أكثر من أي شيء آخر.

ثم جاء مقلدوه فكانوا كالمسخ، وأساؤوا بدورهم إلى الحداثة بأكملها"وقال في موضع آخر من مكاشفاته إنَّه معجب بأدونيس ويعتبره من أعظم شعراء العرب"وهنا نجده قد ناقض نفسه؛ إذ كيف يكون أعظم شعراء العرب، وقمة، وقد أساء إلى الشعر بإلغائه التفعيلة، وأضحى شعره أقرب إلى النثر، أكثر من أي شيء آخر؟

هذا من حيثُ الشكل، أمَّا من حيث المضمون الذي لم يتطرق إليه الأستاذ خزندار؛ إذ كيف يعد قمة وأعظم شعراء العرب، وقد نال من الذات الإلهية وتجرأ عليها، فجعل الله ميتاً، ومقتولاً وأعمى وشحاذاً، وله زوجة، ويولد وشبَّهه بالإنسان، وجعل للحب إلهاً - تعالى الله عمَّا يصفون -، ومجَّد معتقدات الفرق الباطنية القائمة على الإباحية والإلحاد النُصيرية التي يعتقدها والقُرمطية والصوفية الملحدة القائمة على الحلولية والتناسخ، ومن شعره النثري أو بالأحرى من هذيانه النثري قوله في قصيدة أسماها "الإله الميت":

اليوم حرقت سراب السبت سراب الجمعة

اليوم طرقت قناع البيت

وبدَّلت إله الحجر الأعمى وإله الأيام السبعة بإله ميِّت. (المجلد الأول: ص ٣٤٦)

ويقول في قصيدة "موت ":

نموت إن لم نخلق الآلهة

نموت إن لم نقتل الآلهة

يا ملكوت الصخرة التائهة (المصدر السابق: ص ٣٨٩)

وقد صرّح بقتل الله ـ تعالى الله عما يصفون ـ في كتابه مقدمة للشعر العربي، صفحة ١٣١ "الله في التصور الإسلامي التقليدي نقطة ثابتة متعالية منفصلة عن الإنسان، التصوف ذوَّب ثبات الألوهية، جعله حركة في النفس في أغوارها، أزال الحاجز بينه وبين الإنسان، وبهذا المعنى قتله "أي الله"، وأعطى للإنسان طاقته "

وجعل لله زوجة؛ إذ يقول في قصيدة "دعوة للموت":

يا أرضنا يا زوجة الإله والطغاة

واستسلمي للنار [١]

وجعل الله يولد في قصيدة "كاهنة الأجيال" فيقول:

كاهنة الأجيال قولي لنا شيئاً من الله الذي يولد[٢]

ويقول في قصيدة "مراكش – فاس":

زواحف من كل نوع تقتحم الأرض، والإنسان يصطاد السماء، إنَّه الله يتقدم في جنس حيواني يتخلف[٣].

---

(١) المرجع السابق: ص ٢٥٩.

(٢) المرجع السابق: المجلد الأول، ص ١٠١.

(٣) المرجع السابق: المجلد الثاني، ص: ٤١٨.

obeikandl.com

وفي قصيدة "مقدمة لتاريخ ملوك الطوائف"نجده ذكر اسم الله بين الحشرة والشاعر دون فاصل بينهما فقال:

كل شيء يدخل إلى الأرض من سم الكلمة والحشرة الله الشاعر[1].

وهو بقوله هذا قد ساوى بين الله والحشرة، وأنّ كلمة الله تخرج إلى الأرض من سم الكلمة، بل نجده جعله كالحشرة بقوله"والحشرة الله الشاعر " تعالى الله عما يصفون"، ويستمر أدونيس في كفره بالله والتجرؤ عليه فيقول في القصيدة نفسها:

هاتوا فؤوسكم نحمل الله كشيخ ميت[2].

هذا قليل من كثير مما ورد في شعر أدونيس الذي يعتبر من أهم رواد الحداثة، والذي تأثر به كثير من الشعراء الشباب من الجنسين الذين حذوا حذوه، وفي مقدمتهم شعراء الحداثة، والذي يعده الأستاذ خزندار من أعظم شعراء العرب، وأنّه قمة!

أمَّا نظرة أدونيس للإنسان والكون والحياة: تتلخص نظرة أدونيس للحياة في أربع كلمات هي: حب وجنس وموت ورفض، فشعره وفكره لم يخرجا عن هذا الرباعي، فجاءت لغته الشعرية لغة جسد وجنس وموت، والعبارات التي استخدمها في شعره تدور في فلك جسد المرأة؛ إذ جعل من أعضاء جسدها ـ كنزار قبَّاني ـ مفردات لغوية لشعره؛ فلقد نظر إلى المرأة أنَّها جسد خلق للذة والمتعة، فكان شعره يقطر جنساً وإباحية، وقد مجَّد في شعره الإباحيين والملحدين من دعاة الحلولية والتناسخ ممن ادعى بعضهم التصوف أمثال: " الشلمغاني "، و"الحلاَّج "، و"ابن عربي"، و"النفري" و"بشَّار بن برد "، و"أبي نوَّاس"، و"بولدير"، و" لينين". فالإباحية تمثل جزءاً من عقيدته النصيرية.

---

(١) المرجع السابق: المجلد الثاني، ص ٢٦٤.

(٢) سهيلة زين العابدين حمَّاد: أدونيس بين الإلحاد والإباحية، ص ١١ معد للطبع.

والحياة في نظره هي الحياة الدنيا، فلم يتحدث عن الآخرة، وعن البعث والحساب، والثواب والعقاب والجنة والنَّار، وإن تحدث عن البعث كان عن بعث فينيق رمز الفينيقية التي يدعو إليها الحزب القومي السوري.

أمَّا نظرته للإنسان فقد ألَّهه، فهو يعتقد كالنصيرية بالحلول والاتحاد والتأليه والتناسخ؛ لذا كان كل شيء عند أدونيس إلهاً، كما أنَّه قال كالوجودية بعبثية الخلق، وأنّ الإنسان خلق ليأكل ويلعب وينام ويشبع غريزته الجنسية، إضافة إلى إعلان أدونيس القطيعة مع التراث العربي الإسلامي المشرق، وإعلانه الثورة على كل ما هو إسلامي، وهنا نجد الأستاذ خزندار قد تغاضى عن موقف أدونيس من التراث على الرغم من أنّه اعتبر قطيعة الحداثة للتراث من مستنقعات الحداثة، وجانبها السلبي.

خلاصة القول: إنَّ نظرة أدونيس للخالق جل شأنه وللحياة والإنسان والكون تمثل خليطاً من نظرة النصيرية والفرويدية والوجودية والوثنية الإغريقية والماركسية، وإن كانت العقيدة النُصيرية هي الغالبة على فكره، وعلى كل ما كتبه فهو نُصيري العقيدة، ويتضح لنا هذا عند عرض نماذج من شعره.

فكيف مثل هذا يعد من أعظم شعراء العرب؟

رابعاً: موقفه من الجانب السلبي للحداثة:

لقد قصر الأستاذ خزندار سلبيات الحداثة في قطيعتها مع تراثنا الثقافي، مع أنَّها لم تقاطع كل هذا التراث، إذ نجدها سلَّطت الأضواء على جوانب معتمة من تاريخنا الإسلامي، وذلك بتمجيد دعاة الحلولية والتناسخ والإباحية مثل: القرامطة، والحلاج والشلمغاني، والنفري، والسهروردي، وابن عربي، وأبي نوّاس وغيرهم. والأكثر من هذا نيلهم من الذات الإلهية، وتمجيدهم للشيطان كقول صلاح عبد الصبور "الشيطان خالقنا ليجرح قدرة الله العظيم، وقوله في قصيدة " الإله الصغير":

كان لي يوماً إله، وملاذي كان بيتُه
قال لي "إنَّ طريقَ الوردِ وَعْرٌ فارتقيتُه
وتلفَّتُ ورائي، ووراءي ما وجدتُه
ثُمَّ أصغيتُ لصوتِ الرِّيحِ تبكي، فبكَيتُهْ
ذاتَ يوم، كنتُ ارتادُ الصحاري، كنتُ وحدي
حين أبصرتُ إلهي، أسمرَ الجبهة، وردي
ورقصنا وإلهي للضحى، خداً ... لخد
ثُمَّ نِمنا، وإلهي بيْنَ أمواجٍ وورد[1].

أمَّا أمل دنقل فلقد مجَّد الشيطان لأنَّه قال" لا" لرب العباد، وذلك في قصيدته "كلمات سبارتكوس الأخيرة"التي يقول فيها:

المجد للشيطان ... معبود الرياحْ
من قال "لا"في وجه من قالوا "نعمْ"
من عَلَّم الإنسانَ تمزيقَ العدمْ
من قال "لا"... فلم يَمُتْ؛
وظلَّ رُوحاً أبدية الألمْ[2].

ويقول في قصيدة " الخيانة"

وأنا ذلك الإله -الإله الذي سيُبارك أرضَ الجريمة.
إنَّني خائنٌ أبيع حياتي

(١) ديوان صلاح عبدالصبور «الناس في بلادي»، قصيدة «الإله الصغير»، ص ٤٧، ط٤ سنة ١٩٨٣م، دار العودة، بيروت.

(٢) أمل دنقل: الأعمال الشعرية الكاملة، ص ١١٠، ط٣، سنة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.

obeikandl.com

للطريق الرجيمة،

إنَّني سيد الخيانة[1].

وقد أعلن كرهه لله في " مجنون بين الموتى"؛ إذ قال على لسان أحد الأصوات:

أكره النَّاس كلهم أكره الله والحياة[2].

ويقول في" لغة الخطيئة"

أعبر فوق الله والشيطان[3]". وهذا قليل من كثير، إضافة إلى ما في شعرهم من إباحية ومجون.

خامساً وأخيراً: موقفه من الواقعية السحرية وألف ليلة وليلة:

وهذا ما سأبحثه في الحلقة المقبلة إن شاء الله.

(١) المرجع السابق: ص ٣٤٤.

(٢) المرجع السابق: ١٨٤.

(٣) الأعمال الكاملة لأونيس، المجلد الثاني، ص ٢٨٩.

obeikandl.com

سهيلة زين العابدين تعقب على مكاشفات خزندار.. (٣-٣)

* الواقعية السحرية التي يطالب بها خزندار بجعلها بديلاً للحداثة سيتحول بها مجتمعنا العربي إلى عالم السحر والشعوذة.

* ما قاله الخزندار حول الواقعية السحرية هو من أجل إقناعنا بقبول هذا المذهب كما حاول الغذّامي أن يوهمنا بأنَّ الحداثة من تراثنا.

أواصل الحديث في هذه الحلقة عمَّا توقفتُ عنده في الحلقة الماضية وهو:

خامساً وأخيراً: موقف الأستاذ خزندار من الواقعية السحرية وألف ليلة وليلة:

ما ذكره الأستاذ عابد خزندار عن الواقعية السحرية وألف ليلة وليلة هو ذاته الذي قاله في حوار الحداثة التي عقدتها مجلة (الأربعاء) - التي تصدر عن جريدة المدينة - في شعبان عام ١٤٠٨هـ، وجمعت فيها الأطراف المتباعدة، وكان الأستاذ خزندار أحد ممثلي تيَّار الحداثة، وقد قال وقتها مقولة استوقفتني، وهي: «الواقع إنَّ بديل الحداثة طرح عالمياً، وأنا نوَّهتُ به محلياً، وأنا لي الشرف أن أقول إنَّ البديل وجد طبعاً "التيَّار ما بعد الحداثة" احتوى على عدة تيَّارات لكن في رأيي أهم تيار منها" الواقعية السحرية "، أو أدب أمريكا اللاتينية، هذا الأدب هو بضاعتنا رُدّت إلينا لأنَّه الواقعية السحرية ما هو إلاَّ الواقعية، أو التراث العربي..».

ولتتضح الصورة أمام القراء الكرام أرى من الضرورة بمكان أن أعرفهم بالواقعية السحرية، وأن أضعها تحت مجهر التصور الإسلامي لنحدد معاً موقفنا

* نشرت المداخلة في بتأريخ ٢صفر ١٤٢٤هـ صحيفة المدينة- ملحق الرسالة.

منها، ولنرى هل هي من تراث ألف ليلة وليلة كما يقول الأستاذ خزندار أم أنَّه أخطأ في تصنيفه لها؟

الواقعية السحرية:

يُعرِّف الدكتور صلاح فضل الواقعية السحرية في كتابه (الواقعية في الإبداع الأدبي) فيقول: "الواقعية السحرية هي الاندفاع في مجال إغراق الخيال حتى تخرج عن نطاق خصائص الواقع الملموس لتجسيم مواجهة الإنسان للظروف المحيطة به؛ إذ لا تكتفي في جوهرها بالتحليقات الخيالية التي تنتهي إلى تحويل الواقع وتحليله إلى علاقات غير عادية، ولا مألوفة، ولكنها تعثر في نفس هذا الواقع على أشكال تبدو وكما لو كانت حُلماً لا يمت بأية صلة للعنصر العادي المألوف، وبهذا تعمل على أن يعيش الخيال المغرق في الواقع نفسه، فتكمل لها الدورة الخيالية، وتكون عالماً جديداً توقد في داخله المظاهر الموضوعية للواقع جنباً إلى جنب مع لب الأسطورة الخرافية، فالأعمال الأوروبية وفق الواقعية السحرية تعبر عن رؤية كونية سحرية للعالم، رؤية لا تاريخية تمحى فيها الحدود بين الأحياء والجماد، أو بين الثقافة والطبيعة حيث تكتسب الأشياء والظواهر خواص وقدرات مميزة. "

ولنتعرَّف أكثر على الواقعية السحرية فسوف أورد مضامين بعض القصص التي تمثل الواقعية السحريةُ:

قصة «رحلة إلى بذرة» لكاربنتر:

يسير الزمن في هذه القصة إلى الخلف وذلك بواسطة بلورة سحرية، فالخادم العجوز يرى هدم بيت سيده (دون مارسيال) الذي مات منذ فترة وجيزة، وكاد العمَّال يفرغون من رفع بعض الأنقاض حتى يأخذ الخادم في التشنج، ويأتي بحركات غريبة، يتقلب على الأرض فوق ما تبقى من حصى وأحجار، وفي كل مرة ينقلب فيها

كأنَّه عصاً سحرية، ينقلب الزمن معه منساباً إلى الوراء فيعود السيد إلى الحياة، ويعيش متراجعاً في الزمن حتى يصل إلى حالته الأولى، وهي الطين، يعود البيت إلى خلاء، وعندما يحضر العُمَّال في اليوم التالي لإنجاز مهمتهم يجدون أنّها قد تمَّت، ويعتمد المؤلف في إيهامنا بأنَّ الزمن يعود إلى الوراء على الصور المعكوسة، فالشموع المشتعلة تتزايد بدلاً من أن تتناقص، والأزواج يذهبون إلى الكنائس لاسترداد حريتهم، ويردون خواتم الزواج التي تعود بدورها إلى حالتها الأولى سبائك في مصانع الصاغة، ويعود الأشخاص إلى طفولتهم، والطيور إلى أعشاشها حتى تصبح بيضاً مرة أخرى، ويتحول الأثاث إلى شجر والنسيج إلى نبات».

هذا ويعلق الدكتور صلاح فضل على هذه القصة قائلاً: «ومن هذا ينجح المؤلف في خلق عالم لا تسيره قوانين الطبيعة التجريبية، وإنَّما يخضع لقوى عليا تنتهي لدنيا السحر في محاولته لفض أسرار الكون.

ولا شك أنَّ هذه الطريقة تتصل بأسلوب (الفلاش باك) المعهود في السينما خاصة، ولكنَّها تختلف عنه بما توهمه من قلب أوضاع التطور وعكس مسار الزمن تاركاً نقطة الانطلاق بلا عودة ومعتمداً لا على الذاكرة، وإنَّما على معايشة التاريخ في رحلة مستمرة إلى الوراء، إلى البذور.

ولتتضح الصورة أكثر أمام القارئ فلنتوقف عند قصة: مائة عام من الوحدة: للقصَّاص الكولمبي (جارثيا ماركيز)، وتدور حول قرية تسمى "ماكوندو" اعتبرها النقاد كوناً مصغراً لأمريكا اللاتينية، وتقوم هذه القصة على عنصر ينتمي إلى عالم التنبؤات والأسرار، فيرى الكولونيل "بويريا" مؤسس هذه القرية يرى فيما يرى النائم أنَّه قامت في مكانها مدينة ينبعث منها الضجيج، وتتكون حوائطها من المرايا، فسأل عنها فأجابوه باسم لم يكن قد سمع عنه من قبل، وليس له أي معنى، ولكن كان له

رنين غير عادي في الحلم، وهو "ماكوندو كذلك يتدخل في دمارها عنصر آخر ينتمي إلى عالم الأسرار؛ إذ تهب عليها ريح عاتية لا تترك لها أثراً، وترمز هذه المرايا إلى السحر والأحلام.

ويعلق الدكتور صلاح فضل على هذه المرايا قائلاً: (إنَّ لها وظيفة مميزة هي رسم الحدود أو الخط الفاصل بين عالمَيْن: الداخلي الذي يتمثل في الأحلام والخيال، والخارجي وهو الواقع، فالمرآة والحلم لا ينفصلان، والحلم يفتح أبواب العجائب والسحر، وفي هذه الحالة بالذات يفتح (ماكوندو) التي تظهر أمام عيوننا، ثُمَّ لا تلبث أن تختفي كحلم غريب، ثمَّ يتحدث الدكتور صلاح فضل عن الزمن في هذه القصة فيقول: (وعندما ندرس مشكلة خاصة في هذه القصة مثل مشكلة الزمن نرى أنَّه لا يوجد خارج ذات المؤلف؛ إذ إنَّه مجرد لعبة في يديه يصنع به ما يشاء.

ويتحدث عن الغرائب والحوادث الخارقة للعادة في هذه القصة، فيقول: إنَّ بعضها يظل دون تفسير لأنَّه ينتمي إلى عالم السحر الذي يستعصي على الشرح، وذلك مثل أوراق "ملكياوس" الصفراء التي يحاول بعض الأطفال الاستيلاء عليها بعد التسرب خلسة إلى حجرته، فتتملكهم قوى غريبة، وترفعهم عن الأرض يظلون معلقين في الهواء إلى أن يعود الساحر، وينتزعها من أيديهم، فيهبطون إلى الأرض عندئذ، ويمارسون حركتهم العادية، وكثير من هذه التفاصيل الخارقة للعادة لها وظيفة واضحة هي التعبير عن سيطرة الإنسان على المادة والطبيعة.

ويستطرد الدكتور صلاح فضل، فيقول: «أمَّا بعض العناصر الغريبة مثل: ظهور أشباح الأموات ومعايشتها للأحياء بطريقة طبيعية لا تثير الذعر بينهم، ولا تغير من عاداتهم اليومية الرتيبة فإنّ هذا يعود إلى المعتقدات الشعبية التي ترى أنَّ من حق

الأشباح والأرواح أن تأتي لتذكر الأحياء بوجودها، وبهذا تتفادى الموت النهائي الذي لا يحيق بها إلاَّ عندما تطويها صحائف النسيان، ولا ترد على خاطر كائن حي.

ومن هنا نرى في هذه القصة وفي غيرها كثيراً من شخصيات الأموات، وهي تهيم في المنزل بين الأفراد الذين يحسون بوجودها ويعايشونها في وئام شديد حتى يستقر لدينا انطباع غريب بأنَّ الحد الفاصل بين الحياة والموت يتلاشى بالتدريج حيثُ تختلط الأشباح وتتحرك وتمارس "حياة" غامضة بين سائر الأحياء.

أعتقد أنَّه من خلال هذا العرض السريع والموجز للواقعية السحرية قد اتضحت لنا أهم معالمها وملامحها؛ إذ نستطيع الآن أن نقارن بينها وبين ألف ليلة وليلة، كما نستطيع تحديد نظرتها إلى الله الخالق جلَّ شأنه، وإلى الإنسان والكون والحياة، وموقفها من الموت.

فكما رأينا فالواقعية السحرية تجعل من الإنسان إلهاً يغير ما في الكون وفق ما يريد فكيف تعتبر من تراثنا العربي، إن كانت قصص ألف ليلة وليلة، تتحدث عن الخيال والسحر وعالم الجن، فهي تتحدث عن الخير والشر، وتجعل الخير هو الذي ينتصر دائماً، فهي تعتبر السحر والشعوذة شراً يحاربه أبطال القصص حتى ينتصروا عليه، ولكن الواقعية السحرية في أدب أمريكا اللاتينية تعتبر السحر هو الحقيقة الواقعة التي لا يصارعها أحد، وتسقط الموت، وتجعل الأموات يعيشون مع الأحياء، وكأنَّهم ليسوا بأموات، فربط الأستاذ خزندار بين الاثنين غير موفق، وأرى قوله هذا فقط من أجل إقناع القارئ العربي المسلم بقبول هذا المذهب، تماماً كما حاول الدكتور عبد الله الغذّامي أن يوهم القارئ العربي المسلم أنَّ الحداثة من تراثنا.

الواقعية السحرية تحت مجهر التصور الإسلامي:

ولنبدأ بنظرتها إلى: الخالق جلَّ شأنه:

لقد ألغت وجود الله، وجعلت من الإنسان إلهاً، فالإنسان ـ كما رأينا ـ في الواقعية السحرية هو المسيطر على الكون، وما فيه، فيغيِّر فيه ما يشاء ومتى شاء، ولعلَّ هذه ردة فعل للمذاهب المادية كالبنيوية التي ألغت دور الإنسان واعتبرته شيئاً من الأشياء أو آلة تدور.

وهنا ابتعدت عن جوهر العقيدة الإسلامية القائمة على الإيمان بوجود الخالق الواحد الأحد بيده ملكوت كل شيء وهو السميع البصير، مدبِّر هذا الكون، والمسيطر عليه، وما الإنسان إلاَّ مخلوق مكلف سخَّر الله له ما في الكون إلاَّ أنَّه ليس المسيطر على الكون، وليس في إمكانه تغيير سننه ونواميسه ـ كما رأينا في قصة رحلة إلى بذرة ـ فلا تغيير لسنن الله.

نظرة الواقعية السحرية إلى الإنسان:

غالت في تقدير الإنسان وأوصلته إلى مرتبة الألوهية، وهذه النظرة تخالف نظرة الإسلام إلى الإنسان.

نظرت إلى الإنسان أنَّه روح فقط، وألغت ماديته، فجعلت أرواح الموتى أشباحاً تعيش مع الأحياء، وتمارس نوعاً من الحياة الناقصة. وهذه نظرة تخالف نظرة الإسلام إلى الإنسان؛ فالإنسان روح ومادة وازن الإسلام بينهما، وهنا تتجلى عظمة الإسلام ومعجزته، يقول تعالى: ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾.

نظرة الواقعية السحرية إلى الكون:

عدم احترامها لسنن الكون؛ إذ إنَّها جعلت الزمن يتراجع وتعود المخلوقات إلى سيرتها الأولى ـ كما رأينا ـ في رحلة إلى بذرة، وهذا يتنافى مع الإسلام، فأولى العقائد التي حرص الإسلام على غرسها في نفوس أبنائه أنَّ هذا الكون الذي يعيش فيه الإنسان لا يسير جزافاً، أو يمشي على غير هدى، كما أنَّه لا يسير وفق هوى أحد الخلق فإنَّ أهواءهم مع عماها وضلالها متضاربة متنافرة ﴿ **وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ** ﴾ [المؤمنون: ٧١].

والكون مرتبط بقوانين مطردة وسنن ثابتة لا تتبدل ولا تتحول ﴿ **فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً** ﴾ [فاطر: ٤٣].

فالعقيدة الإسلامية تقوم على احترام السنن الكونية، وطلب المسببات من أسبابها التي ربطها الله بها، والإعراض عمَّا يُقال عن الأسباب الخفية المزعومة، التي تقوم عليها الواقعية السحرية التي تلجأ إليها عادة سكنة المعابد ومحترفو الدجل بالأديان.

نظرتها إلى الحياة:

خالفت العقيدة الإسلامية في النظر إلى الحياة؛ إذ جعلت الإنسان يعيش حياتين في هذه الدنيا حياة كروح وجسد، وحياة ثابتة كروح وشبح بعدما يموت. فهي هنا أسقطت الموت، وبالتالي ألغت الجزاء والثواب، والحياة الآخرة، بينما الحياة في الحياة الدنيا في الإسلام هي واحدة، وبعد الموت ينتقل الإنسان إلى الحياة الآخرة، ليلقى حسابه على ما فعل في دنياه، وهي دار الخلود.

هذا وتعتمد الواقعية السحرية على التنبؤات والخرافات والسحر والأساطير، وجعلت من السحرة والكهَّان والعرَّافين أبطالاً لقصصها، وهذا يتنافى مع العقيدة

الإسلامية التي حاربت الكهَّان والعرَّافين الذين يدَّعون معرفة الغيوب الماضية أو المستقبلة عن طريق اتصالهم بالجن، أو غير ذلك، فأعلن الرسول صلى الله عليه وسلم الحرب على هذا الدجل الذي لا يقوم على علم ولا على هدى، ولا على كتاب منير، وتلا عليهم قوله تعالى: ﴿ **قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ [النمل: ٦٥]

فلا الملائكة ولا الجن، ولا البشر يعلمون الغيب، وأخبر الله عن جن سليمان: ﴿ **أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ** ﴾.

فمن ادَّعى معرفة الغيب الحقيقي، فهو كاذب على الله، وعلى الحقيقة، وعلى النَّاس، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يوماً**» رواه مسلم.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**من أتى كاهناً فصدَّقه بما قال فقد كفر، بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم**».

أمَّا السحر فهو البطل الحقيقي للواقعية السحرية وعمادها، وهو في الإسلام من كبائر الذنوب، يقول تعالى: ﴿ **وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ** ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: «**اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا يا رسول الله وما هي؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق، وأكل الربًا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» متفق عليه.

وقد اعتبر فقهاء الإسلام السحر كفراً، وذهب بعضهم إلى وجوب قتل الساحر، وقالوا يقتل، ولا يُستتاب تطهيراً للمجتمع من شره، وعلمنا الله عزَّ وجل الاستعاذة من شر أرباب السحر: ﴿ **وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** ﴾ [الفلق: ٤].

والنفث في العقد من طرائق السحرة وخواصهم، وفي الحديث الشريف: «**من نفث في عقدة فقد سحر ومن سحر فقد أشرك**» رواه الطبراني.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «**ليس منا من تطيّر له، أو تكهّن له، أو سحر أو سحر له**» رواه البزار بإسناد جيد والطبراني بإسنادٍ حسن.

ويقول عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل الجنة مدمن خمر، مؤمن بسحر، ولا قاطع رحم**» رواه ابن حبَّان في صحيحه.

فالحرمة هنا ليست على الساحر وحده، وإنَّما تشمل كل متبع السحر مشجع له، مصدِّق لما يقول.

هذه هي الواقعية السحرية، والتي ألبسها الدكتور عبد الله الغذَّامي ثوب التخييلية لتقبلها العقلية العربية المسلمة، التي نادى بها الأستاذ عابد خزندار في خمسة مقالات كتبها في ثقافة جريدة (الرياض) واحد منها في عام ١٤٠٧هـ، والأربعة الباقية قي عام ١٤٠٨هـ، داعياً فيها إلى اعتماد الواقعية السحرية كمنهج أدبي نسير عليه في بلادنا، وظننتُ أنَّ الأستاذ خزندار قد تراجع عن دعوته هذه، ولكني فوجئت - في المكاشفات - بإصراره على دعوته هذه. وكما رأينا فالواقعية السحرية التي يطالب بها الأستاذ خزندار بجعلها بديلاً للحداثة، وهي ليست بأفضل منها؛ إذ سيتحول بها مجتمعنا العربي إلى عالم السحر والشعوذة، ويتحكم فيه السحرة والكهَّان والعرَّافون، فسيكونون هم الأبطال المسيطرون على النَّاس. وبالواقعية السحرية سيتحول مجتمعنا إلى عالم يسوده الرعب، كما هو ظاهر في موجة الأفلام السينمائية الأجنبية، التي نرى فيها مصَّاصي الدِّماء والسحرة، وهذه موجة من الأفلام بدأت الظهور في الأفلام العربية، كفيلم "البيت الملعون"، وفي هذا الفيلم تتجسد أمام بطلة الفيلم أحداث قد مضت فتُرى لها هذه المشاهد نتيجة قيام طبيب نفسي بحركات غريبة تجعله يمتلك قوى خفية. وما رأينا فالواقعية السحرية تجعل من الساحر يعيد الحياة إلى الأموات، كما رأينا في قصة "رحلة إلى بذرة"، فالله وحده هو الذي يُحيي ويميت.

فالواقعية السحرية تجعل مجتمعنا العربي يغرق في اللاوعي، وينشغل بالسحر والشعوذة عن قضاياه المصيرية، وبذلك يتحقق ما تريده الصهيونية؛ إذ جاء في البروتوكول الرابع عشر: «وقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة أدباً مريضاً قذراً يغثي النفوس، وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الأدب».

وأخيراً أقول: إن رضيت أمريكا اللاتينية بالواقعية السحرية لإحياء تراثها القائم على السحر والأساطير، ووجدت لقومياتها فيها توحيداً، فنحن أمة إسلامية نستطيع بعقيدتنا أن نخرج من جميع مستنقعات الهزائم إنْ تمسَّكنا بهذه العقيدة.

فالواقعية السحرية ليست هي المخرج، وإنَّما التمسك بالعقيدة الإسلامية والالتزام بأدب إسلامي، هذه الحقيقة التي أريد أن يدركها جميع أدباء ونقَّاد الحداثة والبنيوية، ودعاة الواقعية السحرية، وفي مقدمتهم الأستاذ عابد خزندار والدكتور عبد الله الغذَّامي، ولو كانت أمريكا اللاتينية تدين بالإسلام لأخذت بالعقيدة الإسلامية وتمسَّكت بها، ولما لجأت إلى السحر والأساطير.

❖كاتبة وباحثة إسلامية سعودية

وقفات مع مكاشفة عابد الخزندار..

الثقافة احترام للرواد والآخرين.. والكلمة أمانة

بقلم: أحمد المهندس

أخرجني من صومي الكتابي لفترة لأُكفّر عن ما اقترفه قلمي في حق نفسي والغير بسبب الصراحة الكتابية.. التي لم تورثني سوى الحلو المر.. وستر الحال. ما قاله " عابد الخزندار " في حواره الطويل الممل في زمن الاختزال.. من كلام في " رسالة " المدينة (الجريدة) وصفه مُحرِّر " المكاشفات " زميلنا عبدالعزيز القاسم.. الذي جره كما يبدو إلى حتفه وجعله يتجرأ ويتطاول على رموزنا الثقافية والوطنية.. بالملتهب!.

وسألت نفسي بعفوية.. وما هي خلفيته الكتابية التي تؤهله ليطلق التهم ويهاجم من سبقوه في مجال الأدب والكتابة بسنوات كان لا يزال فيها غارقاً في الطين والزراعة.. ويراقب الظريفة التي ساقتها الأقدار إليه لتجلس بجانبه.. وسنوات أخرى في البحث عن التخمير الغذائي لدى الأبقار.. وإن كنت أهنئه على قراءته المبكرة لاحتياجات العصر الفضائي واختياره التخصُّص العلمي المناسب.. بعد أن أصبحت تربية العجول أهم من تربية العقول!.

وهل يمكن لمن قضى جُلَّ حياته بين الأبقار والترعة باحثاً عن عملية الهضم في تخصّصه الكيماوي أن يصبح في يومٍ وليلة على رأي أختنا (وردة) قبل العودة للديرة

نشرت المداخلة بتاريخ ٢٠ذو الحجة ١٤٢٤هـ في صحيفة المدينة ملحق الرسالة

والاعتزال.. ناقداً أدبياً وكاتباً اجتماعيا ومهاجماً شرعياً لعباد الله عبر ملحق إسلامي التوجُّه.. لو لا نجاح نظرية خالف تُعرف.

ولو كان " الخزندار " وليعذرني لصراحتي العادة.. الذي لا أعرفه ولا أسعى لقراءة ما يكتبه؛ لأنّ ما يكتبه لا يغريني بالقراءة بالرغم من شغفي بالحرف وأهله.. واعتقدت في بداية ظهور صوره وكتاباته الحداثية عبر الصحافة أنه صاحب المكتبة الشهيرة.

أقول لو كان أخونا الخزندار من جيلٍ تربّى على الوفاء للرواد وإعطائهم حق قدرهم من التقدير والاحترام.. لقدر من أخذ بيده في طريق المعرفة والكتابة.. ولما تجرأ في التهجُّم المرفوض على سيّد الكلمة (الجفري) عبدالله.. صاحب القلب والقلم الأخضر.. والعطاء الكتابي المميّز على امتداد أجيال.. ولا يزال جزل العطاء يُعطّرُ حياتنا بقلمه وإبداعه الإنساني في زمنٍ قلَّ فيه المبدعون والمخلصون.

فقد تناسى أنه كان السبب في دخوله معترك الحياة الكتابية بعد أن جرّه إلى الكتابة جرّاً - على حد تعبيره - في أكثر من مطبوعةٍ محليةٍ ودولية.. لمجرّد أنه دافع من واقع الإحساس بالوطنية والتقدير عن رمزٍ من رموز الوطن كان الغرب يضبط ساعة خروجه وحياته اليومية على نبض تصريحاته..

فأصبح في نظر الخزندار خائناً للمبادئ وفقيراً يستحق المساعدة من صندوق الصحفيين المجهول!!.

فهل هذا ردُّ الجميل والوفاء في دستور مثقّفي السربون؟ ومن هو حتى يطلب من أديبٍ وصحافيّ في قامة عبدالله الجفري التوقُّف عن الكتابة.. لأنّ الزمن تجاوزه والعكس صحيح.. فقد سبق الجفري بكتاباته الزمن، ولم يُقلدّ يوماً غادة

السمان، فقد بدأ الحرف والكتابة قبلها.. وما هذه المقارنة العجيبة بين تشرشل وكسنجر ومعالي الشيخ أحمد زكي يماني.. هؤلاء ساسة تتحكّم فيهم مصالح حزبية ودولية لا يمكن أن نُقارن رموزنا وأنفسنا بهم فلهم، دينهم ولنا ديننا ومبادئنا، والكاريزما التي يتصفون بها تصنعها أجهزة إعلام متقدِّمة صناعياً.. أما قياداتنا الوطنية فغير.. فبالإضافة إلى المسؤولية التي يتولونها هناك كاريزما الإنسانية والأصالة.. ومكانتهم الاجتماعية بين الناس وما قدّموه من عطاءٍ مميّز كروادٍ في مجالهم في زمنٍ قياسي وصعب، وهم إن تركوا المسؤولية وكراسي الوزارة يبقوا بيننا بتاريخهم وأصالتهم وحب الناس لهم بمقدار ما قدّموا وعملوا والنتائج.. بعكس الغرب الذي تنتهي صلاحية المسؤولين لديهم بانتهاء المنصب ويفقدون الكثير نتيجة لذلك.. وليست لديهم أرضية وعلاقات إنسانية يعتمدون عليها.

هل عرفت السبب.. وفارق التشبيه؟!.

أما مانديلا كرمز ثوريٍّ إفريقي.. فلا يمكن أن يكون موضع مقارنة.. لأنه رمزٌ لشعبٍ حقَّق بصموده حريته واستقلاله.

والمُحزن أنَّ الهجوم على سيدنا عبدالله الجفري.. ما كان يمكن أن يكون ويستمر لو رفع سمّاعة الهاتف واتصل بالخزندار وشرح له الأمر فيما كتبه.. ويقول له أنت لست المعني بهذا الكلام يا عابد.. كان الوضع سيكون مختلفاً حينئذٍ !.

بمعنى أنّ هجومه على الجفري لم يكن غيرةً على الأدب والصحافة، واختلافاً في الرأي لا يُفسد للود قضية.. بل لأنه قام بالدفاع عن أحمد زكي يماني الوزير والإنسان والمثقّف والوطني.

والسؤال الذي يفرض نفسه.. هل كان بالإمكان أن يتجرأ أو يهاجم الخزندار بثقافته الفرنسية أحد رموز الثقافة الفرنسية بهذا الأسلوب في صحيفةٍ فرنسية؟

لا أعتقد.. ولا حتى بيرجيت باردو وكلابها.. فهذه منطقة NO ENTERY ممنوع الدخول فيها لأهل البلد.. فما بالكم بالقادمين إليها من بلاد الضاد.. حتى وإن ارتدوا الأسموكنج وشربوا الغليون بدل الشيشة.

أما لدينا.. فأسهل شيء للوصول إلى الشهرة ولفت الأنظار.. أن تبدأ بمهاجمة الكبار.. فلا رقيب يمنع ولا عقاب ولا سؤال.. والنشر مضمون بالصورة والألوان.

لذلك مع الأسف.. الأدباء والكتّاب في بلادنا العربية مظلومون ومحبطون وغاضبون وفقراء في زمنٍ أصبح الأُميّ والنصّاب أكثر أهميةً وثراء.. حظهم حظ البغايا ما لهُنَّ ثوابُ (!!).

وهذا قدرهم.. ولكن التاريخ وحده وقراء ومثقفين لا يزال الوفاء في دمائهم عنواناً بارزاً سينصفهم.. ولهم وبهم لا زالوا صامدين في وجه تتار العصر.

ولصديقنا وأستاذنا الذي لا زلنا نتعلّم منه أبجدية الكلمة البدء المليئة بالصدق والمعاناة والإنسانية (الجفري) عبدالله.. سليل سيّد البشرية الذي أعرف معدنه وقيمته كغيري في حياتنا الثقافية والصحافية بعد أن تجاوز بكتاباته جغرافية الوطن.. العزاء في الوفاء وتقدير الرواد في زمن العجائب.

وللخزندار - بصدق وموضوعية ض- لم تعد منّا بأفكارك وتوجُّهاتك.. وإن ارتديت ثوب الدفة.. فالثقافة احترام للرواد والآخرين.. والكلمة أمانة!.

❖كاتب سعودي ورئيس تحرير مجلة "العقارية"